مـــــرقس

رسالة الفكر المسيحي
للشباب والخدام

يناير ٢٠٢٤

السلام لكِ يا والدة الإله

"وَلَدْتِه للعالم باتحاد اللاهوت بغير افتراق؛
إذ هو ملك المجد، أتى وخلَّصنا"

(ثيئوتوكية السبت)

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة 68 يناير 2024م.

العدد 650 كيهك / طوبة 1740ش.

المحتويات

تهنئة قداسة البابا بعيد الميلاد المجيد 1

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

الفرح في ميلاد المسيح 2

مقال للأب متى المسكين:

«وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ ... مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ» 6

بمناسبة عيد الميلاد المجيد: ميلادان للربِّ يسوع 12

من التراث الكنسي:

"تجسَّد من الروح القدس ومن مريم العذراء" 17

ادخل إلى العمق (38): أين يولَد المسيح؟ 22

بمناسبة عيد الظهور الإلهي: معمودية الربِّ يسوع 28

في الحياة الروحية: جوهر الحياة الروحية (1) 32

ذكرى الصِّدِّيق تدوم إلى الأبد: الراهب أليشع المقاري 37

دراسات ليتورجية:

الحياة الليتورجية لكنيسة الإسكندرية (9) 41

بحث تاريخي: كنائس قبطية باسم ق. يوحنا المعمدان (1) . 44

تقديم كتاب: الخطية الجدِّيَّة (2) 48

حول العالم: أخبار متنوِّعة 50

مقال بالإنجليزية:

LIVING WITH CHRIST, Vol. 4, 19-20 56

من تعليم آباء الكنيسة

للقدِّيس أنبا مقار

بركات الميلاد

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❁✝❁

[في هذا اليومِ وُلِدَ الربُّ، حياةُ البشرِ وخلاصُهم.

اليومَ قد صارَ صُلْحُ اللاهوتِ مع الناسوت،

والناسوتِ مع اللاهوت.

اليومَ طَفَرَت كلُّ الخليقةِ فَرَحًا،

اليومَ مُهِّدَ طريقٌ للبشرِ نحوَ الله،

وطريقُ اللهِ نحوَ النَّفْس ...

لقد كَمَلَ زمانُ الحُكْمِ على آدمَ راسِفًا في أغلالِه

ومُلقًى في غياهب السجن.

اليومَ قد صار له الفداءُ والحريَّةُ بمصالحته (مع الله)،

وصارت له الشَّرِكَةُ مع الروح القدس والاتِّحادُ بالله.

اليومَ رُفِعَ عنه خزيُ وجهِهِ

وأُعطِيَتْ له جراءةٌ، لينظرَ «بِوَجْهٍ مَكْشوفٍ» (2كو3: 18)،

ويمتزجَ بالروح القدس. اليومَ تَتَّخِذُ العروسُ خَتَنًا لنفسها.

اليومَ صارت وَحْدَةٌ وشَرِكَةٌ وصُلْحٌ بين السمائيين والأرضيين،

ذلك الصُّلح الَّذي هو بعينه الإله الصَّائر إنسانًا.

لأنه لاقَ به أنْ يأتِيَ لابسًا الجسد،

ويَرُدَّ البشرَ ويُصالحَهم معَ أبيه]

(عظة 52: 1-2 على عيد الميلاد)

مرقس: يصدرها ديـر القديس أنبا مقار ـ برية شيهيت

مكتب التوزيـع والاشتراكات

القاهرة: 28 شارع شبرا

تليفون: 25770614

01282752324

01023821381

الإسكندرية: 8 شارع جرين - محرم بك

تليفون: 034952740

تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

عنوان البريد الإلكتروني:

stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري

تسديد الاشتراكات: بحوالة بريدية باسم:

مجلة مرقس على مكتب بريد شبرا

على عنوان: ص. ب 31 شبرا ـ القاهرة

أو على حساب شيكات بريدية رقم:

0133100003085818

ويُحظر إرسال أية نقود داخل المظروف بالبريد

أو عن طريق خدمة أورانج وفودافون كاش الخاصة بأرقام المجلة

وتبدأ سنة الاشتراك في يناير من كل عام

ثمن النسخة اثنا عشر جنيهًا

الاشتراك السنوي: حدُّه الأدنى:

120 جنيهًا: داخل مصر (تسليم باليد)

150 جنيهًا: داخل مصر (بالبريد)

400 جنيه: في البلاد العربية

100 دولار أمريكي: في البلاد الأخرى

يُسدَّد عن طريق موقع الدير **على الإنترنت**

عنوان المراسلات: ص. ب 31 شبرا ـ القاهرة

مطبعة دير القديس أنبا مقار

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 217 / 2024

الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

تهنئة بعيد الميلاد المجيد لعام ٢٠٢٤م

يتقدَّم مجمع رهبان دير القدِّيس أنبا مقار ببريَّة شيهيت

وأسرة تحرير مجلة مرقس

بخالص التهنئة إلى

صاحب القداسة والغبطة البابا أنبا تواضروس الثاني

بمناسبة حلول عيد ميلاد مُخلِّصنا الصالح

وندعو إلهنا الصالح أن يُديم رئاسته للكنيسة

سنين عديدة وأزمنة سلامية مديدة

كما نتقدَّم بالتهنئة إلى أصحاب النيافة آبائنا المطارنة والأساقفة الأجلَّاء

وجميع الإكليروس وشعب الكنيسة المقدَّسة

في بلادنا العزيزة وكلِّ بلاد المهجر

الافتتاحية

الفرح
في ميلاد المسيح[1]

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني

✠✠✠

بسم الآب والابن والروح القدس، تحل علينا نعمته ورحمته من الآن وإلى الأبد، آمين.

عيد الميلاد المجيد هو افتتاح أعيادنا:

ونحن نحتفل، أيها الأحبَّاء، بعيد الميلاد المجيد، إنما نحتفل احتفالًا خاصًا، لأن هذا العيد نفتتح به أعيادنا في السنة الميلاديَّة. وهذا العيد – عيد الميلاد – والذي يحتفل به العالَم كله، إنما هو احتفالٌ بدخول الفرح إلى العالم.

كان العالم قبل ميلاد السيِّد المسيح لا يشعر بفرحٍ حقيقي. كان العالم يعيش بعيدًا عن الفردوس، فحتى الأبرار الذين عاشوا، كان الفردوس أمامهم مُغلقًا. وكان الطريق الوحيد أمام البشر هو إلى الجحيم. وكانت حياة الإنسان تدور حول الذبائح المُتكرِّرة، لعلَّ الله يرضَى ويقبَل. وكان تكرار هذه الذبائح يعني أنها ذات نفعٍ مؤقَّت. وصار العالم في حالة تخبُّط وتعدٍّ على الوصية. وانتشرت الوصية وانتشر الضعف في حياة البشر، واحتاج الإنسان أن يكون فَرِحًا ليشعر بإنسانيته.

وكان الفرح في ميلاد السيِّد المسيح، فالإنسان بدون المسيح فاقد الفرح والسعادة الداخلية. وإن كانت الدول تعمل من أجل رعاية الشعوب؛ أمَّا السيِّد المسيح فجاء من أجل رفاهية الأفراد.

لقد خلقنا الله لرسالةٍ، والإنسان الذي لا يشعر بحياته يفقد الكثير من وجوده، ولا يشعر بلذَّة الحياة الجميلة، وهذه هي النعمة التي أعطاها الله للإنسان. كان الفرح ينقص الإنسان،

(١) عظة ألقاها قداسته في قدَّاس عيد الميلاد المجيد لعام ٢٠٢١م.

وجاء السيِّد المسيح مولودًا في مذود بيت لحم لكي ما يمنح الإنسان فرحًا كبيرًا.

والسؤال الآن: من أين وكيف يأتي الفرح؟

نحن نتعلَّم في الكنيسة ونُصلِّي في ألحاننا ونُردِّد كلمة "الليلويا"، وهي كلمة تهليل وفرح، وهي كلمة مشهورة في سِفْر المزامير، وفي سِفْر الرؤيا تتكرَّر أربع مرَّات وتُشير إلى جهات الأرض الأربع.

أريد أن أتأمَّل معكم في خمسة مشاهد عن الفرح من أين يأتي؟

المشهَد الأول: في حياة أُمِّنا العذراء مريم:

عندما نالت البشارة من الملاك جبرائيل، ذهبت بسرعة إلى القدِّيسة أليصابات، وذهبت إليها لتخدمها، وعندما رأتها أليصابات، ابتهج الجنين في بطنها؛ أمَّا أُمُّنا العذراء فحوَّلت هذه المناسبة إلى صلاة: «تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي» (لو ١: ٤٦، ٤٧). **فهذا هو المصدر الأول لفرح الخلاص.**

أُمُّنا العذراء من البشر وعرفت أنها تحتاج للخلاص، وهكذا جميع أجيال العهد القديم كانت تبحث باشتياق عمَّن يأتي ويُخلِّص، وحتى أجيال الأُمم كما قال سقراط: "لا سبيل إلى معرفة الحقيقة إلَّا إذا جاء ربُّ الحقيقة وأعلنها بذاته". مريم العذراء أُمنا وفخر جنسنا وقفت وصلَّت وقالت: «تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي»، وكأنها تضع أيدينا على أول طريق الفرح، الفرح لا يأتي إلَّا من خلال خلاص السيِّد المسيح على الصليب. ولذلك نحن نُصلِّي: "نشكرك لأنك ملأتَ الكلَّ فرحًا أيها المُخلِّص لمَّا أتيتَ لتُعين العالم". فليس هناك فرحٌ إلَّا فرح الصليب، هذا هو المصدر الرئيسي، وأُمنا العذراء تُشير إليه وتُعلِّمنا وتُعلِن احتياجها للخلاص، فالإنسان لن يعرف فرحًا إلَّا إذا بدأ بالخلاص الذي قدَّمه المسيح على الصليب.

المشهَد الثاني: نراه في القدِّيس يوسف النجَّار:

ذلك الشيخ الوقور الذي اختصَّه الله ليكون حارسًا لسرِّ التجسُّد، وكان رفيقًا لأُمِّنا العذراء في الطريق لبيت لحم، وهو الذي صاحَب الأُم والطفل الرضيع إلى مصر عَبْر طُرُقٍ شاقَّة جدًّا. **الفرح هذا هو فرح المسؤولية.**

فالله عندما يمنحنا مسؤولية تكون مصدرًا للفرح إذا استخدمها الإنسان بكلِّ أمانة

وإخلاص. في مَثَل الوزنات قال السيِّد: «كُنْتَ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. اُدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ» (مت ٢٥: ٢١)، لأن العبد كان أمينًا ومُخلِصًا. قد تتعدَّد المسؤوليات، ولكن في كلِّ مسؤولية إذا تاجر فيها الإنسان بكلِّ أمانة، يجد فرحًا.

المشهد الثالث: مشهد الملائكة الذين ظهروا في السماء:

وهؤلاء جعلوا السماء مُنيرة، وسبَّحوا ورتَّلوا: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ» (لو ٢: ١٤). **هذا الفرح هو فرح التسبيح.** فالتسبيح هو اللغة الراقية للصلاة.

كان فرح التسبيح فرحًا حقيقيًّا علَّمته لنا الملائكة من خلال هذه التسبحة القصيرة ولكنها شاملة. لا تستطيع أن تُقدِّم تسبيحًا إلَّا إذا مجَّدتَ الله أولًا، وأن تصنع سلامًا لتكون تسبحتك مقبولة. والخطوة الثالثة: "بالناس المسرَّة"، أي أن تشعر بهذا الفرح، وتنشر الفرح في حياة الناس. فعطية الحياة التي يُعطيها الله لنا هو صاحبها. فاطمئن، فإنَّ الله يقود خطواتك، فعِش أيامك فَرِحًا وفرِّح مَنْ حولك. المشهد الثالث كان التسبيح، والتسبيح يملأك فرحًا.

المشهد الرابع: نجده عند الرعاة:

وهم أُناس بسطاء، مؤتمنون على القطعان التي يرعونها، وكانوا يُعتَبَرون خارج سُكَّان أيَّة مدينة لأنهم يتنقَّلون، كانوا بكلِّ أمانة يحرسون القطعان في البادية. **وكانت هذه البساطة هي سبب الفرح.**

يقول أحد القدِّيسين: [وقفتُ على قمَّة العالَم عندما وجدتُ نفسي لا أشتهي شيئًا ولا أخافُ شيئًا]. فهؤلاء كانوا كذلك، وكانت الصفة الغالبة فيهم أنهم عاشوا حياة الرِّضا. الإنسان الذي يتذمَّر لا يشعر بالفرح، وهؤلاء البسطاء الرعاة استحقُّوا أن يكونوا أول مَنْ يعرف بميلاد السيِّد المسيح في العالم كُلِّه. ربما كانت معيشتهم بسيطة، ولكنها صَنَعَت لهم فرحًا، وظهر لهم الملاك وقال لهم: «فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ» (لو ٢: ١٠). ونعرف أنهم قاموا مُسرعين، وذهبوا إلى بيت لحم، ونالوا الجائزة أنهم أول زوَّار شاهدوا الطفل يسوع.

فالبساطة في الحياة وعدم التمسُّك بالأرضيَّات، تجعل الإنسان فَرِحًا، فليست السعادة في التملُّك. فالإنسان لا يجب أن يُستعبَد لشيء، فكلُّ هذا سيتركه، فلذلك يجب أن لا يحمل همًّا. الرعاة علَّمونا مشهد البساطة والرِّضا التي تُعطي فرحًا للإنسان.

المشهد الخامس: مشهد المجوس:

وقد قَدِموا من بلاد المشرق، واستغرقوا شهورًا في رحلتهم، وهم كانوا علماء وأغنياء، وتحمَّلوا مشقَّة الرِّحلة. وتبعوا النجم، ووصلوا إلى أورشليم، ووصلوا للملك، وسألوا عن المولود ملك اليهود. وطلب منهم هيرودس أن يبحثوا عن الصبي بتدقيق؛ أمَّا هم فذهبوا وتبعوا النجم حتى وصلوا إلى البيت ومعهم الهدايا، **وهنا يظهَر فرح المُشاركة.**

فعندما نُشارك الآخرين، نحصل على فرحٍ عظيم. وكان مع المجوس هدايا، وأتوا ليُشاركوا في فرحة الملك المولود ملك اليهود، رغم أنهم من الأُمم، وقدَّموا هداياهم وشاركوا فرحة أُمِّنا العذراء والقدِّيس يوسف النجَّار وفرحتنا أيضًا، وكان هذا هو مبدأ المُشاركة. فعندما تُشارك الآخرين في أفراحهم، تشعر بفرحٍ داخلي. الإنسان لم يُخلَق لنفسهِ، بل لمجتمعٍ يخدم ويعمل، وحياة الشركة هي الغالبة على أديرتنا القبطية.

إذًا، يا إخوتي، هذه المشاهد الخمسة هي مصادر للفرح:

(١) من أمِّنا العذراء: الخلاص يُعطي فرحًا.

(٢) من القدِّيس يوسف النجَّار: المسؤولية تُعطي فرحًا.

(٣) من الملائكة: التسبيح يُعطي فرحًا.

(٤) من الرعاة: البساطة تُعطي فرحًا.

(٥) من المجوس: المُشاركة تُعطي فرحًا.

فيصير هذا العيد هو عيد دخول الفرح إلى العالَم، ونُصلِّي أن يملأ هذا الفرح كل القلوب والعقول وكل البلاد وكل إنسان، وتكون حياتنا في العالم الجديد بعد هذه الجائحة والتي نرجو أن تنتهي قريبًا، ويكون الإنسان متهلِّلًا من الداخل برغم وجود المشاكل، وفَرِحًا من داخله، ويُقبِل على الحياة؛ إذ إنَّ الفرح يُعطي طاقةً للإنسان.

أُكرِّر تهنئتي، وباسم كل الآباء المطارنة والأساقفة، والآباء الرهبان والشمامسة، نهنِّئ الجميع بهذا العيد المجيد، ونُصلِّي لكي يمنح الله نعمةً وسلامًا وصحةً وعافيةً لكلِّ أحدٍ. نُصلِّي من أجل الذين رقدوا، ونُصلِّي من أجل كلِّ إنسان. فليُعطِنا الله سلامًا وهدوءًا ... أُهنِّئكم، وأرجو أن تدوم فرحة الميلاد في حياتكم. ولإلهنا كل مجد وكرامة من الآن وإلى الأبد، آمين.

البابا تواضروس الثاني

«وُلِدَ لَكُمُ الْيَومَ ... مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ»[1]

أول بُشرَى للميلاد تلقَّاها رعاة ساهرون:

٨:٢ «وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ».

يقول العلَّامة إدرزهايم اليهودي المُتنصِّر الذي كتب حياة المسيح بالتفصيل: إنهم فئة من الرعاة مختارين بشروطٍ خاصة من جهة الطهارة والتطهير، يحرسون قطعان الغنم المخصَّصة للذبائح الهيكلية. وهناك نبوَّة سجَّلها ميخا النبي تقول إنَّ مِن **"برج القطيع"** الواقع على أَكَمَة جبل صهيون (وهو يُرى على طريق بيت لحم) يأتي مَنْ يملك ويحكم: «وَأَنْتَ يَا بُرْجَ الْقَطِيعِ أَكَمَةَ بِنْتِ صِهْيَوْنَ إِلَيْكِ يَأْتِي. وَيَجِيءُ الْحُكْمُ الأَوَّلُ مُلْكُ بِنْتِ أُورُشَلِيمَ» (ميخا ٤:٨).

والقارئ يُلاحظ أنَّ النبوَّة على المسيح منصبَّة على مجيئه من قِبَل **"بنت" صهيون** تعبيرًا عن ميلاده من العذراء.

كذلك فإنَّ أحد كُتُب التراث اليهودي[2] يقول: إنَّ مِن على برج "مجدال عيدر" أي "برج القطيع" في بيت لحم سيُعلَن ميلاد المسيَّا. وهذا البرج يقع على الطريق بين بيت لحم وأورشليم. وهذا ما تمَّ بالفعل، إذ ظهر هناك الملاك الذي كلَّم الرعاة.

ولكن، لا يمكن أن يفوت على القارئ المُلهَم، العلاقة السرِّية ذات المغزى والمعنى، أنَّ أول بشارة بميلاد «"حَمَلُ" اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ» (يو ١:٢٩)، يفوز بها **"رعاة ذبائح"** الهيكل من الحملان! بل ويولَد **"حَمَل"** الله في **مذود؟** إنها تُحسَب صرخة من الوحي المقدَّس في أُذُن القارئ الموهوب، وكأنها إصبع تُشير كما أشارت إصبع المعمدان: «هُوَ ذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ». بل ولا يخلو هذا الحبك الإلهي في الرواية ذات الأسرار، لماذا **"للرعاة"** يُستعلَن **"الحَمَل"؟**

هذه الإشارة أخذتها الكنيسة المرتشدة بالروح وأَسْمَت كهنتها بـ **"الرعاة"،** وكأنهم

---

(١) عن كتاب: "الإنجيل بحسب القدِّيس لوقا – دراسة وتفسير وشرح"، الطبعة الرابعة ٢٠١٥، من ص ١٢٩ – ١٣٤.

(2) *Targum Pseudo-Jon. on Gen.* 35:21.

المؤتمنون على سرِّ الحَمَل، يُقدِّمونه كل يوم على المذابح ليُشبعوا **الرعية!**

٩:٢ **«وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا».**

الليل ليل شتاء، وظلمة الشتاء ثقيلة، وأيُّ بصيص نور يجذب الأبصار، فما بالك بنور مجد الله بضياء يملأ السماء والأرض على مستوى البرق، وفي لحظةٍ يلفُّهم النور وكأنهم صاروا في بؤرة الشمس بلا حرارة. فأيُّ خوفٍ يتحتَّم أن يعتريهم؟ وهم رعاة سُذَّج. ولكن الذي يسترعي أبصارنا نحن أن يكون هذا ضياء **مجد الرب نفسه،** وهو نفسه ملقًى هادئًا في المذود يلفُّه قماط!!! وتمَّ القول: «الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ (إلى الأرض)، ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ» (يو ٣: ١٣). مَنْ يفهم ومَنْ يُصدِّق ومَنْ يُسبِّح؟ أليس هذا المنظر فيه ما يفكُّ أُحجية التجسُّد؟؟ على المستوى العلني والمنظور.

١٠:٢ **«فَقَالَ لَهُمُ الْمَلاَكُ: لاَ تَخَافُوا. فَهَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ».**

"خوف عظيم"، و«فرح عظيم»:

أليس هذا هو الإنجيل أي البشارة المُفرحة جدًّا؟ أول مَنْ فسَّره ملاك، وأول مَنْ سمعته آذان رعاة! واللغز هنا بديع، فالبشارة للرعاة، والفرح للشعب، وما على الرعاة إلَّا البلاغ. وكأنه في مخافةٍ عظيمة جدًّا يتقبَّل الرعاة البشارة لينقلوها مفرِّحة لجميع الشعب. وهكذا فأول مَنْ سمع البشارة ورأى المولود هم الرعاة، إنَّ في هذا تناسقًا بديعًا.

ولكن نقطة التركيز في هذه الآية أنَّ البشارة بالميلاد فيها **فرحٌ عظيم،** وكم مرَّة عيَّدنا للبشارة ولم نفرح؟ بل وكم مرة قرأنا وسمعنا البشارة ولم نفرح؟ إنَّ في هذا إشارة إلى عُطْلٍ في السَّمْع والفكر، في تقبُّلنا لأعمال الله وأسراره، لنا آذان لا تسمع! إنَّ الفرح العظيم الذي يكون لجميع الشعب، انطلق من الميلاد ليؤسِّس دعامة في قلب الإنسان لا يمحوها الزمن، ارتفعت عاليًا يوم القيامة، لتُنهي عهد شقاء الإنسان إلى الأبد: «أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ» كل الأيام.

١١:٢ **«أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَومَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ».**

هذا هو **"الفرح العظيم"،** يقول الملاك: «أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ ... أَنَّهُ **وُلِدَ لَكُمُ مُخَلِّصٌ**». نقول تعليقًا على قول الملاك: "الفرح قد وُلِد في أرواحنا وليس في أجسادنا. والجسد يموت ويبقى الفرح العظيم نحمله معنا إلى السماء، فلا الموت ولا الحزن ولا العالم يقدر أن يلغي فرحنا.

فرحنا في روحنا، فهو بمنأى عن أتعاب هذا الدهر. يشقى الجسد ويمرض ويتألم جدًّا وطويلًا، ولكن يبقى فرحنا غالبًا. المسيح قام، والمسيح لن يموت بعد، وهكذا فرحنا لن يموت إلى الأبد".

هنا دخلت الرواية التاريخ رسميًّا، وابتدأ للتوِّ العدّ التصاعُدي للصليب. فليس اعتباطًا أن يقرن الملاك المولود بـ "الخلاص". فيوم الرب هو يوم الخلاص بكلِّ تأكيد. فإن كان قد وُلد يسوع حسب تسمية الملاك ليوسف سابقًا؛ فهو، بآنٍ واحد، مسيَّا الله القادم بالخلاص على كتفيه: «لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ» (مت ١:٢١).

عيني على الطفل المُقمَّط في المذود، كيف وُلِد ليُصلب؟ إذ حمل هذه الألقاب جميعها من فم الملاك: «مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ».

أمَّا فرحة الرعاة بالحَمَل المولود، فلأنه سيعفيهم من رعي الغنم لحساب الهيكل ومن سهر الليالي في شتاء بيت لحم القارس. فقد قدَّم نفسه – عِوَضًا عن جميع خرافهم – مرَّةً واحدة لخلاص العالم كلِّه. فليقفل الهيكل أبوابه ويُسرِّح رعاته مع قطعانهم!!

١٢:٢ «وَهذِهِ لَكُمُ الْعَلاَمَةُ: تَجِدُونَ طِفْلًا مُقَمَّطًا مُضْجَعًا فِي مِذْوَدٍ».

وكما أَوحى ملاك البشارة للعذراء القدِّيسة لزيارة أليصابات كونه أعطاها مثلًا لتتأكَّد منه على أنه ليس شيءٌ غير ممكن لدى الله، فهو كما يُعطي العاقر ولدًا يُعطي العذراء حَمْلًا؛ هكذا ملاك الرعاة أعطاهم العلامة: طفلًا مُقمَّطًا موضوعًا في مذود وعلى قيد خطوات من مركز سهرهم! فقاموا كما قامت العذراء وأسرعوا، وكان قصد الملاك على المستوى الأعلى أن يَرَوْا المسيَّا رؤية العين ويقين اللمس: «الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ!!» (١يو ١:١)، حتى إذا رأوا ولمسوا وتحقَّقوا، يُذيعون خبرتهم هذه التي بالعين واليد: «وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا (طفلًا في مذود)» (١يو ١:٢). وهكذا صار الرعاة أول الشهود وأول الرُّسُل. ولكن كان الملاك، بادئ كل ذي بدء، مُتعاطفًا أشد العطف على تلك العذراء الوالدة، فأراد أن يُفرِّح قلبها بأعظم شهادة تجيئها في منتصف الليل من فم الرعاة، كما رأوا في السماء وسمعوا أنَّ الذي في حِجْرها تُسبِّحه الملائكة، وهو حقًّا المسيَّا والمُخلِّص.

«تجدون طفلًا مُقمَّطًا مُضجعًا في مذود»:

منظرٌ لفقر الابن الذي بلغ أقصى قراره، مُعطيًا صورة منظورة لسرِّ الإخلاء مِن أمجاده غير

المنظورة. فالذي هو في صورة الله في البهاء والمجد، أخلى ذاته ليَظْهر مُستضعفًا هكذا في صورة عبد!

عجيبٌ وليس عجبًا، أنَّ الذي خلقنا على صورته، يعود ويأخذ صورتنا لنفسه، لكي بنفسه يفدي الصورة التي خلقها!

عظيم السموات ارتأى أن يُلفَّ بالخِرَق، لأنَّ الذي هو في حضن الآب اشتهى أن يحتضنه مذود!

مروِّعٌ للذهن جدًّا انحدار الابن من سماواته العُلا إلى تراب الأرض وطين المذود.

فأدركنا وارتعبنا أنَّ هذا هو المُعادِل لانحدار الإنسان من البرارة أمام الله إلى حضيض العصيان وطين الخطية.

وما كان المذود إلَّا توطئة لتمزيق ذات الجسد على خشبة العار، ثم إسناده إلى ظلمة القبر ميتًا.

ولكن، هي محبة الآب التي أحدرته إلى عالمنا، لكي بميلاده لنا يلدنا له، وليمحو بعاره عارنا، ويلغي بموته موتنا، وبيرِّه يُبرِّرنا!!

٢:١٣و١٤ **«وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ».**

ثلاث تسبيحات على مستوى الثلاثة تقديسات، لأنَّ سرَّ اللاهوت انفتح على عالمنا.

هنا بحسب اللاهوت: إعلان (إبيفانيا) ἐπιφάνεια واستعلان إلهي (ثيوفانيا) θεοφάνεια معًا. أمَّا الإعلان فبيد ملاك هو "ملاك الرب" الخاص حاملًا إعلانًا من الله للرعاة؛ وأمَّا الاستعلان فهو استعلان الله نفسه الذي سبق وعبَّر عنه القدِّيس لوقا بقوله: «مَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ». بهذا نفهم الفرق بين الملاك وجمهور الجُند. فالملاك مُرسَل من الله؛ أمَّا جمهور الجُند السمائي، فهم خُدَّام العرش المحيطون بالرب يظهرون لحظة استعلان الرب أو ظهوره، وهنا استعلان في السماء وظهور على الأرض!!

لذلك يُلاحَظ هنا أنَّ التسبحة بدأت أولًا بـ **"المجد لله"**، وهو **صراخ الذُّكصا** كإعلان تسبيحي لحضور العظمة في ملء السموات العُلا فوق الصبي! أمَّا **"السلام على الأرض"**،

فهو لنزول رب السلام لحظة لمس جسد المولود أرض الشقاء، ليملأ أرضنا سلامًا لا يُنزَع منَّا إلى الأبد؛ وأمَّا **"في الناس المسرَّة"**، فلأن مصدر السرور والفرح الإلهي أَخَذَ لحمًا من لحمنا وتجنَّس بجنسنا، ولن ينزعنا عنه إلى الأبد. فيا لسعدنا بالذي وُلِدَ لنا. وهل يُعقل أن يُولَد لنا ولد ونُعطى ابنًا هو من السماء وليس من أرضنا، والله أبوه أرسله إلينا ليحملنا إليه؟

كان لا بدَّ للملائكة أن تترنَّم في السموات العُلا وتُردِّد صداها الأرض إلى الأبد. فالقدير صنع بنا عظائم، وأحزان البشرية أشرق عليها سلام وفرح!

إنَّ ما يقوم به أهل الغرب، ليلة الكريسماس، بالفرح والتهليل بكلِّ آلات الموسيقى والغناء والرقص في كلِّ شارع وميدان وزقاق وركن وخروج الجميع عن رزانتهم، هو استجابة سنويَّة لتهليل السماء. ومنذ القديم وإشعياء يترنَّم أيضًا بلسان النبوَّة قبل الميلاد بسبعمائة عام:

+ «وَلكِنْ لَا يَكُونُ ظَلَامٌ لِلَّتِي عَلَيْهَا ضِيقٌ. كَمَا أَهَانَ الزَّمَانُ الأَوَّلُ أَرْضَ زَبُولُونَ وَأَرْضَ نَفْتَالِي، يُكْرِمُ الأَخِيرُ طَرِيقَ الْبَحْرِ، عَبْرَ الأُرْدُنِّ، جَلِيلَ الأُمَمِ.

الشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلَالِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ. أَكْثَرْتَ الأُمَّةَ. **عَظَّمْتَ لَهَا الْفَرَحَ. يَفْرَحُونَ أَمَامَكَ كَالْفَرَحِ فِي الْحَصَادِ. كَالَّذِينَ يَبْتَهِجُونَ عِنْدَمَا يَقْتَسِمُونَ غَنِيمَةً ...**

لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلَامِ. لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلَامِ لَا نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ. غَيْرَةُ رَبِّ الْجُنُودِ تَصْنَعُ هذَا» (إش ٩:١–٧).

طوباك يا إشعياء، يا مَنْ رأى النور في حَلَك الظلام، والسلام والفرح والبر والملكوت في حِجْر المولود في مذود بيت لحم!! وهكذا فإن كانت الملائكة سبَّحت بأفضل ما عندها، فلم تعدم البشرية نبيًّا سبَّح بأعظم منها!!

١٥:٢ **«وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ الرِجَالُ الرُّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: "لِنَذْهَبِ الآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْظُرْ هذَا الأَمْرَ الْواقِعَ الَّذِي أَعْلَمَنَا بِهِ الرَّبُّ"».**

وكما أسرعت مريم لزيارة أليصابات لتحكي لها ما فعل الرب بها، أسرع الرعاة أيضًا إلى مريم يحكون لها ما أعلمهم به الرب وما رأوه وسمعوه. وكما تشدَّدت مريم بأليصابات،

تشدَّدت مريم بالرعاة.

ويقول التقليد إنَّ مغارة بيت لحم كانت مغارتهم فهدتهم إليها أرجلهم. كما يقول في موضعٍ آخر إنَّ الذي هداهم إلى مأواهم القديم مصباح كان يشتعل، وضعه أصحاب الخان على باب المغارة، فكان الرعاة أول إرسالية اختارتها السماء كمندوبين فوق العادة من ذات المهنة يُمثِّلون العذارى الساهرات.

١٦:٢ **«فَجَاءُوا مُسْرِعِينَ وَوَجَدُوا مَرْيَمَ وَيُوسُفَ وَالطِّفْلَ مُضْجَعًا فِي الْمِذْوَدِ».**

يا للمنظر العجيب والبهي الذي أُغرم به الشعراء والفنانون في كل عصر وكل مِصْر[٣]. وكم مئات بل آلاف الصور والتماثيل والكريشات التي ملأت البيوت والقصور والكنائس، وتباهى بها الملوك والرؤساء والأمراء. وكم يلذُّ للرسَّامين أن يجعلوا بجوار أُذن الطفل المولود رأس بقرة أو حمار كأنه يُسِرُّ إليه بفرحتهم ويُحيِّي مقْدِمَه إلى دارهم، وقد أصرُّوا جميعًا أن يتنازلوا عن مذودهم الخصوصي لمزيد من راحته، ثم يقدِّمون له شكواهم إذ طال عليهم زمان شقائهم: «لأَنَّ انْتِظَارَ الْخَلِيقَةِ يَتَوَقَّعُ اسْتِعْلاَنَ أَبْنَاءِ اللهِ، **إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ – لَيْسَ طَوْعًا** (وهي بريئة) بَلْ مِنْ أَجْلِ (آدم) الَّذِي أَخْضَعَهَا – عَلَى الرَّجَاءِ (ملعونة الأرض بسببك). لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ. فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ ...» (رو ٨:١٩ – ٢٢). وكأنه ليس مصادفة أن يختار المُخلِّص مكان ولادته بين الحيوانات وينام مرتاحًا في مذودهم، فهي الخليقة التي عانت أكثر ظلمًا والتي تعهَّد باستجابة شكواها.

١٧:٢و١٨ **«فَلَمَّا رَأَوْهُ أَخْبَرُوا بِالْكَلاَمِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ عَنْ هذَا الصَّبِيِّ. وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوا تَعَجَّبُوا مِمَّا قِيلَ لَهُمْ مِنَ الرُّعَاةِ».**

نعم لقد رأى الرعاة عيانًا بيانًا كل ما سمعوا من الملاك، فكانوا شهود إثبات أثلجوا صدر يوسف والعذراء، وباركوا الحَمَل ليوم الصليب!!

ويبدو أنَّ الرعاة أثاروا حولهم الغرباء الذين اكتظَّت بهم المدينة، فجاءوا مُسرعين معهم وسمعوا ونظروا وتعجَّبوا. ولكنهم كانوا ذوي عيون لا تُبصِر وآذان لا تسمع، إذ: «سِرُّ الرَّبِّ لِخَائِفِيهِ» (مز ٢٥:١٤).

---

(٣) "مِصْر" مُفرد "أمصارٌ"، وتعني: أقطارًا أو بلادًا.

ميلادان للربِّ يسوع[1]

للقدِّيس أوغسطينوس

ميلادان للمسيح كلمة الله:

اسمعوا، يا بني النور، أنتم الذين تبنَّاكم الله لملكوته. اسمعوا، يا إخوتي الأعزَّاء، اسمعوا وافرحوا، أيها الأبرار بالرب، لكي يتحقَّق فيكم القول: «بِالْمُسْتَقِيمِينَ يَلِيقُ التَّسْبِيحُ» (مز ٣٣: ١). اسمعوا ما أنتم قد عرفتموه بالفعل، وتفكَّروا فيما سمعتموه، أحبُّوا ما تؤمنون به، ونادوا بما تحبُّونه.

إننا نحتفل اليوم بهذا العيد السنوي، لأنَّ المسيح قد وُلِد كإلهٍ من الآب، وكإنسانٍ من أُمِّه العذراء. وُلِد من الخلود (أي عدم الموت) الذي لأبيه، ومن بتولية أُمِّه. وُلِد من أبيه بلا أُمٍّ، ومن أُمِّه بلا أبٍ. من أبيه بدون زمن، ومن أُمِّه بدون زرع. من أبيه كبداية للحياة، ومن أُمِّه كنهاية للموت. من أبيه كسيِّد على جميع الأيام، ومن أُمِّه كمُقدِّس لهذا اليوم!

أرسَل الربُّ أمامه إنسانًا هو يوحنا (المعمدان) لكي يولَد في الوقت الذي يبدأ فيه النهار يقصر (أي بعد ٢١ يونية)، في حين أنَّ الربَّ نفسه وُلِد عندما يبدأ النهار يطول (أي بعد ٢١ ديسمبر). وهذا رمزٌ نبوي لِمَا قاله المعمدان بعد ذلك: «يَنْبَغِي أَنَّ ذلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ» (يو ٣: ٣٠)[2]. وهذا معناه أنَّ الحياة البشرية ينبغي أن تنقص وتنقص في ذاتها ثم تنمو وتزدهر في المسيح، وذلك «كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لَا لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ» (٢كو ٥: ١٥)، وحتى يقول كلٌّ منَّا: «أَحْيَا لَا أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ» (غل ٢: ٢٠). حقًّا «يَنْبَغِي أَنَّ ذلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ»!

الكلمة هو خبز الملائكة في السماء، وخبز البشر في المذود:

بكلِّ جدارةٍ تُسبِّح جميع ملائكته ذاك الذي هو طعامهم الأبدي، الذي يُنعِش حياتهم بمؤازرته التي لا تزول، لأنه هو كلمة الله الذي يحيون بحياته، وبخلوده يعيشون إلى الأبد،

---

(١) عظة رقم ١٢ من عظات القدِّيس أوغسطين عن الميلاد، والمرجع هو: A.C.W, Vol. 15, p. 121.

(٢) معروفٌ أنَّ المعمدان وُلِد قبل ستة شهور من ولادة الرب يسوع، لأن السيِّدة العذراء حبلت يوم بشارتها في الشهر السادس لحَبَل أليصابات بالمعمدان (لو١: ٢٦)، كما قال الملاك للعذراء: «هذَا هُوَ الشَّهْرُ السَّادِسُ لِتِلْكَ الْمَدْعُوَّةِ عَاقِرًا» (لو ١: ٣٦).

وبصلاحه يسعدون إلى الأبد. فإنهم بكلِّ جدارةٍ يُسبِّحونه مُعطين المجد لله في الأعالي. ولكننا «نَحْنُ شَعْبُهُ وَغَنَمُ مَرْعَاهُ» (مز ١٠٠: ٣)، فلعلَّنا بمشيئتنا الصالحة نصطلح معه بقدر ما إنَّ هذا مُمكنًا بسبب ضعفنا، لعلَّنا بذلك نتأهَّل للسلام. لأنه من المؤكَّد أنَّ تلك الكلمات التي نطقتها الملائكة في فرحها عندما وُلِد المخلِّص لأجلنا، تنطبق علينا اليوم: "المجد لله في الأعالي وعلى الأرض سلامٌ في الناس ذوي المشيئة الصالحة" (لو٢: ١٤حسب النص).

إنهم يُسبِّحونه كما هو واجبٌ عليهم، فلنُسبِّحه نحن بالطاعة. هم سُفراؤه أو الناطقون بلسانه، فلنكن نحن من جانبنا قطيعه. إنه قد ملأ مائدتهم في السماء، وملأ مذودنا على الأرض. لأجلهم يتكوَّن ملء مائدتهم من هذا: «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ» (يو ١: ١). ولأجلنا فإنَّ ملء مذودنا هو حقيقة، إذ «الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا» (يو ١: ١٤). ولكي يأكل الإنسان خبز الملائكة (مز ٧٨: ٢٥)، فإنَّ خالق الملائكة صار إنسانًا. إنهم يُسبِّحون بحياتهم، ونحن بإيماننا؛ هم في متعتهم بالرب، ونحن بسؤالنا أن نكون مثلهم؛ هم بما أخذوا، ونحن بطلبنا أن نأخذ؛ هم بدخولهم، ونحن بقَرعنا لكي ندخل.

سننتعش هناك برؤية الربِّ:

مَنْ ذا الذي بين البشر يعرف جميع كنوز الحكمة والمعرفة المُخبَّأة في المسيح والمخفية في فقر (أو مسكنة) جسده؟ لأنه «مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ» (٢كو ٨: ٩). عندما اتَّخذ لنفسه الجسد القابل للموت وحطَّم الموت، ظَهَر لنا في فقر، ولكنه وعدنا بالغِنَى الذي كان قد أُرجِئ فقط، فهو لم يفقد الغِنَى الذي أُخِذَ منه.

«مَا أَعْظَمَ جُودَكَ الَّذِي ذَخَرْتَهُ لِخَائِفِيكَ، وَفَعَلْتَهُ لِلْمُتَّكِلِينَ عَلَيْكَ!» (مز ٣١: ١٩)! "لأَنَّنَا نَعْلَمُ بَعْضَ الْعِلْمِ... حتى يأتي الكامل" (انظر: ١كو ١٣: ٩و١٠)، حتى نُظهِر أنَّ نفوسنا مُلائمة لنَيْل هذا الكمال. إنه «إِذْ كَانَ ... مُعَادِلًا للهِ»، صار مثلنا «آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ» (في ٢: ٦و٧)، مُعيدًا تشكيلنا لنكون مُشابهين لله: «سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ» (في ٣: ٢١). وإذ صار ابن الله الوحيد ابن الإنسان، جعل كثيرين من بني الإنسان أبناءً لله؛ والعبيد الذين يتغذَّون على مَنْ أَخَذ صورة العبد المرئية، قد صاروا به أحرارًا، وذلك لكي يَرَوْا هيئة الله، لأننا «نَحْنُ أَوْلَادُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ» (١يو ٣: ٢).

حقًّا، أيُّ نوعٍ من كنوز الحكمة والمعرفة، وأيُّ نوعٍ من هذا الغِنَى الإلهي يكون إن لم يكن الرب كافيًا لنا؟ وما هو هذا الفيض من الجُود إن لم يكن الرب هو الذي يُشبعنا؟ إذن «أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا» (يو ١٤: ٨). وقال واحدٌ منَّا نحن البشر في المزمور: «سأشبع عندما يظهر مجدك» (مز ١٦: ١٥ حسب النص)، ولكنه هو نفسه واحدٌ مع الآب (يو ١٠: ٣٠)، ومَنْ يراه يرى الآب أيضًا (يو ١٤: ٩). وعلى ذلك «رَبُّ الْجُنُودِ هُوَ مَلِكُ الْمَجْدِ» (مز ٢٤: ١٠)، وإذ يقلب حياتنا (أي يُغيِّرنا)، فهو يُظهِر وجهه لنا ونحن نخلُص (مز ٨٠: ٣)، وهكذا نَشْبَع ويكون هو كفايتنا.

ولذلك، ليت قلوبنا تقول له: «لَكَ قَالَ قَلْبِي: "قُلْتَ: اطْلُبُوا وَجْهِي". وَجْهَكَ يَا رَبُّ أَطْلُبُ، لَا تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنِّي» (مز ٢٧: ٨)، ولْنَدَع الرب يُجيب على قلوبنا قائلًا: «اَلَّذِي عِنْدُه وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي، وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي، وَأَنَا أُحِبُّهُ، وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي» (يو ١٤: ٢١). والذين قال لهم ذلك رأوه بالتأكيد بعيونهم وسمعوا صوته بآذانهم وظنُّوه إنسانًا له قلب إنسان، ولكنه وَعَدَ قائلًا (على لسان بولس الرسول): «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ» (١كو ٢: ٩).

فحتى يتمُّ ذلك، فهو يُظهِر لنا ما يكفينا، حتى نشربه كينبوع حياة ونشبع. دعونا بينما نسلك بالإيمان (٢كو ٥: ٧) ونحن مُتغرِّبون عن الربِّ (٢كو ٥: ٦)، وبينما نحن جياع وعِطاش إلى البرِّ (مت ٥: ٦)، وبينما نحن نتوق بأنينٍ لا يوصف إلى جمال هيئة الله؛ دعونا في نفس الوقت، نحتفل بتقوى واتضاع بتجسُّده في هيئة إنسان.

إننا لم نَصِر بعد قادرين على التأمُّل في حقيقة أنه قد وُلِدَ من الآب «قبل كوكب الصبح» (مز ١١٠: ٣ حسب النص)، ولكن فلنحفظ في أفكارنا حقيقة ولادته من عذراء أثناء ساعات الليل. إننا لم نمسك بعد بحقيقة أن يكون «اسْمُهُ إِلَى الدَّهْرِ. قُدَّامَ الشَّمْسِ يَمْتَدُّ اسْمُهُ» (مز ٧٢: ١٧). إننا لم نُدرك بعد الابن الوحيد وهو كائنٌ في حضن أبيه، فلنتذكَّر العريس وهو خارج من خِدره (مز ١٩: ٥). إننا لسنا بعد مُهيَّئين لوليمة أبينا السماوي، فلنتعرَّف على مذود ربِّنا يسوع المسيح.

أخفى هذه عن الحكماء[٣]:

«هذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ، نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ فِيهِ» (مز ١١٨: ٢٤). إنَّ إيماننا

(٣) من عظة القدِّيس عن الميلاد رقم ٢، ص ٧١ من نفس المرجع.

المسيحي وحده هو الذي يُبلِّغنا ما أعطاه لنا فعل الاتضاع الجليل السامي هذا، لأن الله «أخفى هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنها للأطفال» (مت ١١: ٢٥). فليجعل المتواضعون اتضاع الله هو اتضاعهم، لأن هذا يُعينهم على أن يحملوا ثقل ضعفهم فيصلوا إلى سموِّ الله. إنَّ الحكماء والفهماء الذين أشار إليهم المسيح، يبحثون عن أمور الله العالية فقط ولا يُراعون الأمور الوضيعة. فلأنهم يتجاهلون تلك الأخيرة، فلن يبلغوا إلى تلك العالية. نعم حقًّا هم حكماء وفهماء، ولكن في أمور هذا العالم، وليس في أمور ذاك الذي «كُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ».

لقد جاء الربُّ إلينا كإنسانٍ دون أن ينفصل عن أبيه، لقد وَضَعَ قوَّته الإلهيَّة في جسد طفل، ولكن تلك القوَّة لم تأتِ من الأرض. فلنحتفل بيوم ميلاد الربِّ باهتمامٍ كامل وبالغيرة التي تليق به. ليفرح الرجال ولتفرح النساء، لأن المسيح وُلِدَ رجلًا ووُلِدَ من امرأة، فقد تكرَّم كِلَا الجنسين. كانت المرأة هي سبب موتنا، والمرأة أيضًا وَلَدَت لنا الحياة. لقد وُلِدَ الرب في «شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ» (رو ٨: ٣) ليُطهِّر الجسد الخاطئ، ولهذا السبب لا تجعل الجسد يوجَد خاطئًا؛ بل لتَمُت الخطيَّة لكي تحيا الطبيعة الأصليَّة، لأنه وُلِدَ الرب بلا خطية حتى تُعَاد ولادة ذاك الذي فيه خطية.

افرحوا، أيها الشُّبَّان، الذين نذرتم بتوليتكم للمسيح، لأنه جاء كنموذج لكم بلا زواج. افرحْنَ، أيتها العذارَى، فإنَّ عذراء قد وَلَدَت ذاك الذي يمكِّنَكُنَّ أن تُخْطَبنَ له بلا فساد. افرحوا، أيها الأبرار، فهذا هو عيد ميلاد الذي يُبرِّر. افرحوا، أيها الضعفاء والمرضى، إنه يوم ميلاد الذي يشفي. افرحوا، أيها المأسورون، إنه عيد ميلاد الفادي. افرحوا، أيها العبيد، إنه يوم ميلاد السيِّد. افرحوا، أيها الأحرار، إنه عيد ميلاد الذي يُحرِّر. افرحوا، يا جميع المسيحيين، إنه عيد ميلاد مسيحكم.

نَبَتَ من الأرض[٤]:

رغم أنَّ اللاهوت كان مُخفًى في المذود، إلَّا أنَّه كُشِف للمجوس بعلامة في السماء وأُعلِن عنه للرعاة بكلمات البُشرى الملائكية. إننا نُقدِّس بجدارةٍ هذا العيد الذي تمَّت فيه كلمات النبوَّة: «الْحَقُّ مِنَ الأَرْضِ يَنْبُتُ، وَالْبِرُّ مِنَ السَّمَاءِ يَطَّلِعُ» (مز ٨٥: ١١). فإنَّ الحقَّ الذي يُقيم في حضن الآب، قد نبت من الأرض ليسكن في حضن أُمٍّ. الحقُّ الذي يحوي العالم، نبت من الأرض ليولَد

(٤) من العظة رقم ٣، ص ٧٦ من نفس المرجع.

بين يدَي امرأة. الحقُّ الذي هو طعام عدم الفساد للملائكة، قد نبت من الأرض ليأخذ لبنًا من ثديي امرأة. الحقُّ الذي لا يمكن للسموات أن تسعه، قد نبت من الأرض ليوضع في مذود!

لفائدة مَنْ نزل هذا السامي إلى كلِّ تلك المسكنة؟ بالتأكيد إنه ليس لذاته؛ بل إنه، إن كان لنا إيمان، كان لمنفعتنا العظيمة. استيقظ، أيها الإنسان، فإنه لأجلك أنت صار الله إنسانًا: «اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا النَّائِمُ وَقُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ فَيُضِيءَ لَكَ الْمَسِيحُ» (أف ٥: ١٤). لقد كان ينتظرك موتٌ أبدي لو لم يكن قد وُلِدَ الرب في الوقت المُعيَّن، ولا كنتَ ستتحرَّر إطلاقًا من جسدك الخاطئ، لو لم يكن هو نفسه قد أَخَذَ «شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ» (رو ٨: ٣). إنَّ بؤسَك كان لا بدَّ أن يكون أبديًّا، لو لم يكن قد أكمَلَ الرب فعل الرحمة هذا. ما كنتَ لتعود إلى الحياة مرَّةً أخرى، لو لم يكن قد جاء الرب ليموت عِوَضًا عنك. كان لا بدَّ أن تتحطَّم سفينة حياتك، لو لم يكن قد جاء ليُعينَك. لو لم يأتِ، لكنتَ قد هلكتَ.

فلنُعيِّد بفرح لمجيء خلاصنا وفدائنا. ولنحتفل بهذا اليوم المقدَّس الذي فيه دخل اليوم الأبدي العظيم إلى هذا اليوم القصير والوقتي بهذا المقدار. ها قد صار لنا المسيح «حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً. حَتَّى كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: "مَنِ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ"» (١كو١: ٣٠و٣١). وهذا يعني أننا لم نكن لنتكبَّر أو نفتخر مثل اليهود الذين «إِذْ كَانُوا يَجْهَلُونَ بِرَّ اللهِ، وَيَطْلُبُونَ أَن يُثْبِتُوا بِرَّ أَنْفُسِهِمْ لَمْ يُخْضَعُوا لِبِرِّ اللهِ» (رو١٠: ٣). وعلى ذلك، فعندما قيل «الْحَقُّ مِنَ الأَرْضِ يَنْبُتُ»، تبع ذلك: «وَالْبِرُّ مِنَ السَّمَاءِ يَطَّلِعُ». فإنَّ الإنسان في ضعفه ما كان ليدَّعي لنفسه ذلك البر، ولم يكن من حقِّه أن يقول إنَّ تلك الأمور هي بالصواب تخصُّه؛ إذ لا بدَّ للإنسان أن يقبل برَّ الله، ولا يظنُّ أنَّه تبرَّر بذاته، أي بقدراته الشخصية، إنما تبرَّر ببرِّ الله.

إنَّ المسيح الذي قال: "أنا هو الحق" (يو ١٤: ٦)، وُلِدَ من عذراء لكي يُحقِّق النبوَّة: «الْحَقُّ مِنَ الأَرْضِ يَنْبُتُ». والإنسان الذي يؤمن بمَنْ وُلِدَ اليوم، يتبرَّر ليس بذاته، بل بالله لكي يُتمِّم بقية الآية: «وَالْبِرُّ مِنَ السَّمَاءِ يَطَّلِعُ».

فلنفرح، إذن، بتلك النعمة حتى يكون مجدنا هو «شَهَادَةُ ضَمِيرِنَا» (٢كو ١: ١٢) الذي به نفتخر لا بأنفسنا بل بالرب. وواضحٌ أنه لهذا السبب قيل إنَّ الربَّ هو «مَجْدِي وَرَافِعُ رَأْسِي» (مز ٣: ٤). لأنه أيُّ نعمةٍ يمكن أن يمنحنا إيَّاها الله الآب أعظم من أنه جعل ابنه الوحيد ابنًا للإنسان، مقابل أن يجعل ابن الإنسان ابنًا لله! له المجد الدائم إلى الأبد، آمين.

"تجسَّد مِن الروح القدس ومِن مريم العذراء"[1]

+ «مَلَاكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: "يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ، لَا تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ. لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ"» (مت ١: ٢٠).

بهذه الكلمات يُقدِّم لنا القدِّيس متى عقيدة الميلاد البتولي. إنَّه يحكي لنا أنَّ يسوع حُبِل به من الروح القدس في بطن أُمِّه العذراء.

إنَّ عبارة: "الميلاد البتولي" كان يستعملها الآباء في القرون الأُولى، وكانوا يُؤكِّدون على كلمة: "الميلاد"، ليؤكِّدوا حقيقة إنسانيَّة المسيح التي اعترض عليها الغنوسيون، الذين كانوا يقولون إنَّ المسيح عَبَر فقط، مُجرَّد عبور، مِن خلال رَحِم العذراء، وبهذا ظهر كأنَّ له جسمًا بَشَرِيًّا (أي جسدًا خياليًّا).

فعِبَارة: "حُبِل به مِن الروح القدس" تعني أنَّ الإله أتى إلى العالَم. فميلاده مِن الروح القدس يعني أنَّه الله. "ومِن العذراء مريم" تُبيِّن حقيقة بشريَّته. إذن، هو الإله والإنسان في شخصٍ واحد. إنَّ عبارة: "حُبِل به من الروح القدس" تعني أنَّ الله لم يَصِر إنسانًا فقط، بل إنَّ هذا الإنسان هو الله نفسه. فالله بتجسُّده خَلَقَ إنسانًا جديدًا: فعند هذه النقطة الإلهيَّة والبشريَّة، بدأ الله يخلِق الخليقة الجديدة. كان الله يُدخِل في مجرى دم البَشرِيَّة شيئًا جديدًا، شيئًا مُختلفًا، حياةً جديدة غير مُلوَّثة بخطايا الماضي. فالوحيد الذي يمكنه أن يُخلِّص العالَم لا بدَّ أنْ يكون هو ليس مِن هذا العالَم، وأيضًا لا يكون هو نفسه مُحتاجًا إلى خلاص.

ولكي تُحافظ الكنيسة على عقيدة التجسُّد، فإنها دَعَت العذراء ليس: "أُم يسوع" فقط، بل أيضًا: "والدة الإله – الثيئوطوكوس"، حتى يتَّضِح للجميع أنَّ الذي تحمله،

---

(١) مُترجم عن كتاب بعنوان:

ORTHODOXY: A Creed for Today, By Fr. Anthony M. Coniaris.

ليس مُجرَّد إنسان له صلة بالله، ولكنه شخصٌ واحِد، وهو الله والإنسان في آنٍ واحد.

إنَّه: "حُبِل به مِن الروح القدس"، ليُبيِّن لنا أيضًا أنَّه لم يأتِ إلى العالَم بمحض الصُّدفَة أو بمشيئة إنسان، بل قد دَخَل التاريخ بسلطانٍ إلهي، فهو غير خاضع للطَّبيعة ولكنه سيِّد الطَّبيعة. إنَّه ليس مِن صُنْع إنسان، ولكنَّه عطِيَّة الله للإنسان. إنَّه لم يولَد كأيِّ بَشَر، إنه فريد، إنَّه وُلِد: **«لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنَ اللهِ»** (يو ١: ١٣).

يقول أُغسطينوس المغبوط: [إنَّ المسيح وُلِد كإله مِن الآب، وكإنسان مِن الأُم (العذراء). وُلِد مِن عَدَم الموت مِن الآب، ومِن بتوليَّة الأُم. وُلِد مِن الآب بدون أُم، ومِن الأُم بدون أب جسدي. ميلاده مِن الآب غير زمني، وميلاده مِن الأُم بدون زرع. مِن الآب هو بداية الحياة، ومِن الأُم هو نهاية الموت. مِن الآب هو يُرتِّب كل الأيَّام، ومِن الأُم هو يُقدِّس هذا اليوم].

لماذا التجسُّد؟

إنَّ حقيقة افتقاد الله للإنسان، في شخص يسوع المسيح، تتضمَّن معانيَ ضخمة هائلة:

أوَّلًا: تعني أنَّ الإنسان هامٌّ لدى الله، بدرجة من الأهميَّة تجعل الله يفتقِد الإنسان بنفسه، هامٌّ لدرجة تكفي أنَّ الله بنفسه يصير هو مُخلِّص الإنسان. ونظرًا لأن الإنسان أكثر من مُهِم فهو ثمين لدى الله، ثمين بدرجة تجعل الله يُحِب الإنسان حُبًّا عظيمًا، حتى أنه يبذل ابنه الوحيد «لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يو ٣: ١٦).

ثانيًا: يُعلِّمنا التجسُّد أنَّ الله يعتني بالأرض التي خلقها. إنَّ كوكب الأرض على درجةٍ من الأهميَّة حتى تنطبِع عليه قَدَما الله، الذي صار بنفسه جسدًا، وصار كائنًا ماديًّا محسوسًا. كانت توجَد أيام المسيح ديانات أُخرى تُعلِّم أنَّ كلَّ ما هو مادِّي شرِّير. إذن، فالجسد شرِّير. أمَّا في المسيحيَّة، فإنَّ الله بذاته أَخَذَ جسدًا ماديًّا، وبهذا قدَّس وكرَّس ليس فقط الجسد البشري، بل أيضًا العالَم المادِّي بأسرِه. إنَّ حقيقة مجيء الله إلى داخِل حياتنا الطبيعيَّة والبشريَّة، تعني أنَّ الله يهتمُّ بنا وبعالَمنا. فإنْ كان الله يهتمُّ ويكترث بعالمنا هكذا، فيجب علينا أنْ نهتمَّ نحن أيضًا به.

ثالثًا: التجسُّد ليس هو مجرَّدَ حَدَثٍ وقع في الماضي، الذي هو ميلاد يسوع في بيت لحم. إنْ كنَّا نحن المسيحيِّين ننظر إلى الوراء ونُعيِّد لمجيء الله إلى عالَمنا كحَدَثٍ

تاريخي، فديانتنا تصبح، إذن، ديانة أثَرِيَّة، تكون مِثل مَن يجمع أشياء قديمة، وبذلك تصير كنيستنا متحفًا. التجسُّد هو أكثر من مجرَّد التعييد لحادثة تاريخيَّة. يسوع نفسه الذي أتى إلى بيت لحم، يأتي اليوم لأيِّ إنسان يَقبَله بالإيمان، لأيِّ إنسان يقبله على ما هو عليه، أي: ابن الله ومُخلِّص العالَم. إنَّه يأتينا في القدَّاس ونحن ننتظره هناك. ولكنه يأتي أيضًا حيث لا نتوقَّعه، كما كان الشَّعب قديمًا عند مجيئه في بيت لحم. قد يأتينا في أتوبيس أو في طائرة أو في سفينة، أو في لمسات الحياة وسط ذهابنا وإيابنا مِن أعمالنا: **«لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي ... كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي ... مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي»** (مت٢٥، ٣٦). لذلك فهو يأتي لنا اليوم، فيكون أحيانًا متوقَّعًا، وفي الغالِب دون أن نتوقَّعه. وعلى أساس تعامُلنا معه اليوم، فإننا نُحدِّد مصيرنا الأبدي.

رابِعًا: إنَّ الكلمة الذي صار جسدًا في يسوع هو نفسه يجِب أن يصير جسدًا فينا، يجب أن يتكرَّر الاتِّحاد بين ما هو بشري وما هو إلهي في حياة كلِّ مؤمِن بطريقةٍ سِرِيَّة: **«وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ»** (يو ١: ١٣). أنا وأنتَ، كأبناء الله، ننال قوَّة لنصير امتدادًا للتجسُّد الذي يعني أنَّه حيثما نكون، في عملنا، في مكتبنا، في مدرستنا، يمكننا أن نكون تجسيدًا لروح المسيح. يمكننا أن نُجسِّد حُبَّه، واهتمامه وإدراكه في كلِّ مواقف الحياة. المُخلِّص ليس في حاجة أن يولَد ثانيةً، إنه وُلِد مَرَّةً واحدة لأجل الجميع. لقد وُلِد ليجعل لنفسه مسكنًا في قلوبنا وفي حياتنا، لنكون في هذا العالَم مسيحًا على الأرض، امتدادًا لتجسُّده. يقول القدِّيس بولس: **«أَحْيَا لَا أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ»** (غل ٢: ٢٠). الكلمة الذي صار مُتجسِّدًا في بولس، بطريقةٍ سِرِيَّة، يستطيع أن يتجسَّد أيضًا فينا بنفس الطريقة.

خامسًا: يُعلِّمنا التجسُّد أنَّ الله معنا. إنه أرسل ابنه إلى العالَم ليُرينا أنَّه معنا: **«إِنْ كَانَ اللهُ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا؟ اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لَا يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟»** (رو ٨: ٣١ و٣٢). أشياء كثيرة لا نعرفها، ولكن شيئًا واحدًا يجب أن نَعلمه: الله دائمًا معنا، وبرهان ذلك أنه وهبنا ابنه الوحيد. ماذا يمكن أن يعمل الله أكثر من هذا ليُبيِّن لنا أنه معنا؟

إنَّه معنا عندما نُخطئ، وهو المُخلِّص والراعي الصَّالِح الذي يجري خلف الخروف الضال الواحِد، وعندما يجده فإنه يحمله بين ذراعيه ويعود إلى بيته مسرورًا: **«أَقُولُ لَكُمْ**

إِنَّهُ هكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ» (لو ١٥: ٧).

الله معنا عندما نُجرَّب، ولدينا كلمات القدِّيس بولس الرسول بخصوص هذا: **«وَلكِنَّ اللهَ أَمِينٌ، الَّذِي لَا يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ، بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا»** (١كو١٠: ١٣). قال الربُّ لبطرس يومًا: **«سِمْعَانُ سِمْعَانُ، هُوَ ذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ! وَلكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لَا يَفْنَى إِيمَانُكَ. وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ»** (لو ٢٢: ٣١، ٣٢). فإنْ كان الله معنا هكذا، فمَن يُمكنه أن يقوم علينا؟

مِن أكبَر مشاكل الناس مع الله أنَّهم يشتكون مِن أنَّه لا يمكن لأحدٍ أن يتَّصِل به، أن يجده، ويبدو غالبًا أنَّ الله بعيدٌ جدًّا، يبدو أنه غير شخصي، غير حقيقي. لقد تغيَّر كل هذا في التجسُّد عندما تنازَل الله ليلمس الأرض ويُقيم خطًّا مزدوجًا بين الله والناس. فيمكننا، في شخص يسوع، أنْ نتَّصِل بالله مُباشرة ونُخاطبه شخصيًّا في الصلاة: **«إِلَى الآنَ لَمْ تَطْلُبُوا شَيْئًا بِاسْمِي. اُطْلُبُوا تَأْخُذُوا، لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلًا»** (يو ١٦: ٢٤).

عندما وُلِد يسوع، بَشَّر الملاك أنَّ اسمه سوف يكون: **«عِمَّانُوئِيلَ الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللهُ مَعَنَا»** (مت ١: ٢٣). كَم هو أمرٌ مُفجعٌ حقيقة أنَّ المسيحيِّين غالبًا ما يُفكِّرون في يسوع على أنَّه في الماضي، يسوع الذي كان، أو يُفكِّرون في يسوع الذي سوف يأتي، ولكن نادرًا ما يُفكِّرون فيه في الزمن الحاضِر، فالمسيح هو **«اَللهُ مَعَنَا»**. وفي هذه الأيام التي تميَّزت بالظلام والحيرة والقلق، نُريد ضمانًا لنا برفيق في الطريق، يكون مُرشِدًا لنا في مسارنا الصعب، ومُعزِّيًا لنا في الشدائد والضيقات. يُخبِرنا إنجيل يوحنا قائلًا: **«الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا»** (يو ١: ١٤). هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكننا أن نُعبِّر بها عن **«عِمَّانُوئِيلَ ... اَللهُ مَعَنَا»**. فهو ليس في سماء بعيدة وليس في كوكبٍ بعيد، ولكن هنا بين الناس نجد الله، نجده يُشاركنا أسمى أهدافنا، يتحسَّس ضعفاتنا، يسندنا في حَمْل أثقل أحمالنا، يُطهِّرنا مِن خطايانا، يُرينا نوعًا من الحياة الذي له القيمة الأبديَّة، الحياة التي تستحق الخلود.

قال جُندي لكاهن: "إنَّني ذاهبٌ إلى معركة خطيرة، هل يُمكنك أن تُصلِّي لأجلي لأعود سالمًا"؟

أمَّا القس فقد كان ذكيًّا جدًّا عندما أعطى الجُندي هذه الإجابة:

"يوجد كثِيرون سوف يُقتَلون في وَطيس هذه المعركة. الحرب رديئة، رديئة جدًّا، وقد تكون أنتَ واحدًا مِن هؤلاء الذين يَقْضون أَجَلهم في المعركة، إنني لا أستطيع أن أُصلّي لأجلك لتنجو، ولكني سأقول لك ماذا سأفعل، إنني سوف أذهب معك".

إنَّ الله يقول لنا كلَّ يوم: إنَّ الخطيَّة تُسبِّب كثِيرًا من المُعاناة والأمراض والموت. "إنني لا يمكنني أن أَعِدكُم أنَّكُم لن تتضايقوا وأنتُم في العالَم، وأنكم لن تحملوا أحمالًا ثقيلة أو أن تُجرَّبوا بشِدَّة. كما لا يُمكنني أن أَعِدكُم أنَّ الطَّريق لن يكون صعبًا أو مُرهِقًا؛ ولكنني أَعِدكُم بشيء واحِد: سوف أكون معكم، سوف أذهب معكم، لن أتركَكم أبدًا أو أتخلَّى عنكم، سوف أكون معكم دائمًا كلَّ الأيام وإلى انقضاء الدهر".

وخُلاصة القول: إنَّ التجسُّد يعني:

- ✝ إنَّ الإنسان ثمينٌ جدًّا لدرجة تجعل الله الآب يبذل ابنه الوحيد من أجل خلاص الإنسان.
- ✝ إنَّ كوكب الأرض هامٌّ جدًّا لدرجة أنْ تنطبِع عليه قَدَمَا الله.
- ✝ إنَّ الله الذي أتى إلى بيت لحم، يستمِر في المجيء إلينا اليوم، كما سوف يأتي ثانيةً في مجده عند انقضاء الدهور.
- ✝ يلزم أنَّ الكلمة الذي صار جسدًا في يسوع، يتجسَّد فينا لنكون نحن امتدادًا لتجسُّدِه.
- ✝ إنَّ صيرورة الله إنسانًا في يسوع، تكشِف لنا أنَّ الله لنا ومعنا:

معنا في الألَم والضيق، وفيه يرانا.
معنا في الرخاء، ليحفظنا مُتواضعين.
معنا في العَمَل، ليحفظنا أُمناء.
معنا في المسرَّات، ليجعلها مُفيدةً كَنَسَمَات الرَّبيع.
معنا في الأحزان، ليمسح دموعنا.
معنا في الحياة، ليجعلها هادفة.
معنا في الموت، ليقودنا إلى ما وراء الموت، إلى موضع: "لم تَرَه عَين"، ذلك الموضع الذي أعدَّه الله للذين يُحبُّونه.

أين يولَد المسيح؟

+ «نُرِيدُ أَنْ نَرَى يَسُوعَ» (يو ١٢: ٢١).

تمهيد:

بعد ما سَقَط الإنسان من الفردوس، وانقسمت مَعرفته، وفَسَدت طبيعته بسبب الخطيَّة التي أَسبَغَت الغشاوة على عَينَيه، فأَضْعَفت رُؤيته الداخليَّة لله، وأَعْتَمَت عَينَيه عن معرفته[1]؛ حينئذٍ، فَقَدَ الإنسان فرصة التواجُد في حضرة الله، ورؤيته وسماع صوته والتَّمتُّع بمَعِيَّته. ومنذ ذلك الحين، صار أقصى رجاء للإنسان لا يَتعدَّى مُجرد الاشتياق لرؤية الله، ومُعاينة وَجْهه مرَّةً أخرى. وهذا الأمر يعود لسبب انجذابه الطبيعي نحو خالقه، لِكَوْنِه مخلوقًا على صورة الله ومثاله، وآخِذًا من روحه: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا» (تك ١: ٦). وقد صَرَّح الله بنفسه أكثَرَ من مرَّة في الكتاب المقدَّس أنَّ هذا الأمر – أي رؤية الله ومُعاينته – قد صار أمرًا مستحيلًا على الإنسان بعد سقوطه وتَعَدِّيه؛ حيث يقول الله لموسى النبيّ: «لأَنَّ الإِنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ» (خر ٣٣: ٢٠)، وأيضًا يُعلِن لنا يوحنا الرسول هذا الأمر بالروح: «اللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ» (يو ١: ١٨)، فالله ساكنٌ في نورٍ لا يُدنَى منه.

ومِن أجل حَلِّ هذه المُعضِلة – أي المُواءمة بين حنين الإنسان الساقط واشتياقه لرؤية الله، وبين استحالة تحقيق ذلك للإنسان بعد سقوطه – إذ إنَّه بدون قداسة لا يَقدِر أحدٌ أن يُعاين الله، كقول بولس الرسول بالروح: «الْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ» (عب ١٢: ١٤)؛ لذلك دبَّرَ لنا الآب المُحِبُّ سِرَّ التَجسُّد الطاهر والعجيب، لكي يُعيد به خِلقَة الإنسان، ويُجَدِّدَه ويُقدِّسَه مرَّةً أخرى، ببذل ابنه الوحيد وكَلِمته (الظاهر في الجسد)، و«صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ» (كو ١: ١٥)، لكي ما يصير هو طريقنا للوصول إلى الآب ورؤيته، ولو بالرؤية القلبيَّة والداخليَّة، تحقيقًا لقول الربِّ نفسه:«اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» (يو ١٤: ٩).

---

(١) انظر: "حياة الصلاة الأرثوذكسيَّة"، للأب متى المسكين، فصل رؤية الله، ص ١٥٨ وما بعدها.

يسوع المسيح صورة الآب غير المنظور:

يشهد الكتاب المقدَّس بوضوح، أنَّ يسوع المسيح ابن الإنسان هو بعَينِه ابن الله الظاهر في الجسد، فبولس الرسول يَشهد بالروح قائلًا: «الَّذِي هُوَ **صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ**» (كو ١: ١٥)، ويقول الرسول بالروح أيضًا عن تجسُّد الكَلِمة في شخص الربِّ يسوع: «اللهُ، بَعْدَمَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ **فِي ابْنِهِ**» (عب ١: ١،٢)، ثُمَّ يأتي القدِّيس يوحنا الرسول ليشهد علانِيةً بالإيمان بتجسُّد الربِّ، وتأكيده على أنَّ هذا هو جوهر الإيمان، فيقول بالروح: «مَنْ هُوَ الْكَذَّابُ، إِلَّا الَّذِي يُنْكِرُ أَنَّ **يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ؟**» (١يو ٢: ٢٢)، وأيضًا قوله: «كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ **بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ** فَهُوَ مِنَ اللهِ» (١يو ٤: ٢)، وقوله كذلك: «مَنْ هُوَ الَّذِي يَغْلِبُ الْعَالَمَ، إِلَّا الَّذِي يُؤْمِنُ أَنَّ **يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللهِ؟**» (١يو ٥: ٥). ناهيك عن شهادة الرُّسُل أنفسهم، وعن مُعاينتهم للربِّ يسوع بالجسد، وإيمانهم أنَّه هو ابن الله المُتجسِّد، حيث يقول يوحنا الرسول بالروح: «الَّذِي **رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا**، الَّذِي **شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا**، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ. فَإِنَّ **الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ**، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ **وَأُظْهِرَتْ لَنَا**» (١يو ١–٣)، وشهادة بطرس الرسول للربِّ: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ» (مت ١٦: ١٦). ويأتي فوق كلِّ هذا شهادة الربِّ يسوع عن نفسه، حينما قال لتلميذه فيلبُّس، ردًّا على طلبه: «**أَرِنَا الآبَ** وَكَفَانَا»، فقد أجابه الربُّ: «اَلَّذِي **رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ**» (يو ١٤: ٩)، وكذلك تأكيده هذا القول لفيلبُّس وباقي التلاميذ بقوله: «صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ» (يو ١٤: ١١).

والخُلاصة، أنَّ ابن الله الذي شَهدَ عنه دَاود النبي أنَّه أبرع جمالًا من بني البشر (انظر: مز ٤٥: ٢)، لأنَّه وحيد الآب وكَلمَته الكائن في حضنه كلَّ حين، هو بعينه أيضًا يسوع المسيح ابن الإنسان المولود من العذراء – بحسب الجَسد – والذي لا صورة له ولا منظر كما وَرَدَ في (إش ٥٣: ١،٢) بسبب آلامه؛ وهو نفسه المسيح مخلِّص العالم، وابن الله المُتجسِّد، بشهادة ورؤية كلِّ أصحاب العيون المُستنيرة والمفتوحة، والمختونة بالروح القدس. لذلك صار الحنين لرؤية يسوع (ابن الله المُتجسِّد)، هو التعبير عن اشتياق كلِّ البشرية إلى العودة للحياة مع الله، ونَيْل الحياة الأبديَّة، حسب قول الربِّ: «... أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الابْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ» (يو ٦: ٤٠).

رؤيا العَيْنَين ورؤيا القلب:

لعلَّه من المُهمِّ لنا أن نُدرِك أنَّ رؤيتنا للربِّ، ليست مقصورة على الرؤية الحِسِّيَّة بالعَيْن الجسديَّة، لأنَّ الله روحٌ، والذين يَسجدون له فبالروح والحقِّ ينبغي أن يَسجدوا؛ بل هي رؤية قلبيَّة بعَيْنَي الإيمان والمَعرفة الداخليَّة، وهي رؤيا تتجاوز الحَواس، وتَعبُر لتتملَّك على كلِّ طاقات المعرفة والإيمان اليقيني بشخص الربِّ نفسه، كما قال أيوب الصِّدِّيق بالروح: «وَبِدُونِ جَسَدِي أَرَى اللهَ» (أي ١٩: ٢٦). فالإيمان بالله هو العَيْن الداخليَّة، والمدخل الصادق لرؤية الله والتعرُّف عليه، وبدونه لن نستطيع أن نراه، لأنَّ الإيمان «هُوَ الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى وَالإِيقَانُ بِأُمُورٍ لَا تُرَى» (عب ١١: ١). وتوما الرسول عندما أصرَّ على عدم تصديق قيامة الربِّ إن لم يَرَه بعَينيه الجَسديَّتين، ويلمس جراحاته بإصبعه، عاتبه الربُّ يسوع قائلًا: «لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! **طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا**» (يو ٢٠: ٢٩). فالإيمان هو العَيْن التي بها نتعرَّف على الله.

رؤية الربِّ، إذن، هي دعوة للتعرُّف عليه، مُستندين في ذلك على قوَّة الإيمان المُعطَى لنا من الله، من جهةٍ؛ وعلى محبَّة المسيح نفسه وتنازُله – التي تَجعله يُظهِر ذاته لنا بإرادته – من جهةٍ أخرى. وذلك بقدر ما تسمح به طاقة الإنسان، ومقدار محبَّته وإيمانه، واتِّساع مَداركه وقدراته على استيعاب هذا الإعلان أو الظهور، وبقدر اشتياقه القلبيِّ وحُبِّه اللذين يُحفِّزان الربَّ على إظهار نفسه واستعلانها لكلِّ مَن هو قادر على رؤيته، حسب قوله: «الَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي، وَأَنَا أُحِبُّهُ، وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي» (يو ١٤: ٢١). وهنا نتذكَّر كيف تَحرَّكَ قلب يوحنا الحبيب وهو مع التلاميذ، عندما ظهر لهم الربُّ، وهم على شاطئ بحر طَبريَّة بعد قيامته، عند خروجهم للصَّيْد، فبرغم حدوث بعض التَّغيُّر في ملامح جسد الربِّ بعد القيامة، فقد عَرفه يوحنا وقال لبطرس: «**هُوَ الرَّبُّ**» (يو ٢١: ٧)، فكانت قوَّة المحبَّة والإيمان الصادق بالربِّ هما العاملين الكاشفين له للتعرُّف على شخص فاديه الذي أَحبَّه.

كذلك نجد أنَّه بينما كان رؤساء الكهنة والشعب اليهودي والصَّالبون ينظرون إلى يسوع المصلوب كفاعل شرٍّ ومُجدِّفٍ، نرى قائد المئة الروماني ينظر أمرًا آخر، فيقول: «**حَقًّا كَانَ هذَا ابْنَ اللهِ**» (مت ٢٧: ٥٤). إذن، فرؤيا العَينين لن تكشف لنا عن الربِّ، وربَّما تُضَلِّلنا عن تمييزه والتعرُّف عليه، لأنَّها خاضعة للحَواس الجسدية، والإدراك

المحدود، والمعرفة الإنسانيَّة الضَّئيلة، التي تَحتاج لأن تَسندها قوَّة المحبَّة والإيمان القلبي والاشتياق الواثق، كما حدث مع التلاميذ. فكانت رؤيتهم للربِّ مصدر فرحهم وقوَّتهم: «فَفَرِحَ التَّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ» (يو ٢٠: ٢٠)؛ وحينئذٍ، ستَنفتِح أَعْيُن قلوبنا نحن أيضًا مثلهم وننظر الربَّ، حتى وإن كانت عيون أجسادنا لا تُبصر!

مَن هو يسوع الذي نريد أن نراه؟ ولماذا نطلبه؟

يذكر لنا الكتاب المقدَّس نماذج مُتَعدِّدة لأُناسٍ كانوا يَطلبون يسوع لكي يَرَوْه، ومِن هذه النماذج:

١ – **هيرودس الكبير** (ملك اليهوديَّة): كان هيرودس يبحث عن يسوع، لا لكي يراه، أو يسجد له، كما ادَّعى أمام المجوس؛ بل كان من أجل أن يقتله، خوفًا من أن يصير ملكًا، كما أخبره المجوس (بحسب فكره المريض)، ويأخذ منه المملكة! وعِوَضًا عن فشله في تحقيق أمنيته، بسبب خداع المجوس له؛ أرسل فقتل جميع الصبيان في بيت لحم وكلِّ تخومها، مِن ابن سنتين فما دون (انظر: مت ٢: ١٦).

٢ – **هيرودس أنتيباس**: وهو الملك الذي قَطَعَ رأس يوحنا المعمدان، إذعانًا لطلب سالومي ابنة هيروديا امرأة أخيه. وإذ كان ضميره مُثقَّلًا بسبب ذلك الأمر، فقد فَرِح أولًا برؤية يسوع، ظَانًّا منه أنَّه قد يكون هو يوحنا المعمدان وقد قام من بين الأموات، وتَرجَّى أن يَرى آية من الربِّ، فلم يُجِبه؛ فاحتقره هيرودس، لأنَّه لم يَنَل منه ما أراده، وأعاده إلى بيلاطس البنطي مرَّةً أخرى.

٣ – **تلميذَا يوحنا المعمدان**: هذان التلميذان هما أندراوس وبطرس الرسولان، وكانا أولًا يتبعان يوحنا المعمدان، وبعد ما سَمعا شهادة يوحنا عن يسوع: «هُوَ ذَا حَمَلُ اللهِ!»، تَبِعا يسوع، آملين أن يكون هو المسيَّا مُخلِّص إسرائيل من أعدائهم، فلمَّا أَتيا إلى يسوع وسألاه عن موضع سُكناه، قال لهما: «تَعَالَيَا وَانْظُرَا». فهما قد جاءا ليسوع أولًا يبحثان عن ذاك المُخلِّص الأرضي المُزمع أن يُخلِّصهم من أعدائهم، ولم يكونا مُدركَيْن لشخص الربِّ يسوع ابن الله مُخلِّص العالم.

٤ – **الرعاة والمجوس**: أسرع الرعاة لرؤية الطفل يسوع الذي بَشَّرتهم الملائكة بولادته في بيت لحم، وكانت فرحتهم بالرؤيا السمائيَّة والتسابيح الملائكيَّة هي الحافز والدافع

لهم للإسراع لنظر الطفل يسوع، ولكنهم – رغم بساطة قلوبهم وتَصديقهم للرؤيا السمائيَّة – لم يكونوا مُدركين لعظمة وقَدْر هذا الطفل المولود؛ بل كان انبهارهم بالرؤيا، وحُبُّ الاستطلاع لمعاينة صِدق هذا الخبر ورؤية الصبي المولود، هما الدافع لهم للذهاب ورؤية هذا الطفل الإلهي.

أمَّا المجوس، فإذ كانوا قد استطلعوا بعِلمِهم حقيقة ميلاد ملكٍ جليلٍ عظيم، كما سمح الربُّ بإعلانه لهم بواسطة نجم المشارق؛ فقد سَعَوا باهتمام لرؤية هذا الملك المولود، لينظروا تَحقُّقَ هذه الرؤية لهم، ويكونوا أصحاب السَّبْق في إعلان ولائهم لهذا الملك المشهود له من السماء، ولكن إيمانهم به لم يَصل إلى درجة معرفتهم أو اعترافهم بأنَّه هو الإله المُتجسِّد.

٥ – **الرجال اليونانيون**: هؤلاء القوم هم رجال يونانيون مِمَّن صَعدوا إلى أورشليم ليسجدوا في الهيكل، وهؤلاء سألوا فيلبُّس قائلين: «يَا سَيِّدُ، نُرِيدُ أَنْ نَرَى يَسُوعَ» (يو ١٢: ٢١)، ولَعلَّهم قد سمعوا عن يسوع ومعجزاته، وتَوسَّموا أن ينظروا منه آية، أو أن يَتحقَّق فيه أملهم أن يكون هو المسيَّا المُنتَظَر، المُشار إليه في الكُتُب المقدَّسة. ولكن لم يَتَعدَّ الأمر هذا القَدْر من الإيمان به، أو التَّوقُّع فيمَنْ يكون غير ذلك.

وهكذا نرى في كلِّ النماذج السالفة، أنَّ هناك تبايُنًا واختلافًا في الرغبات والغايات من رؤية يسوع لكلٍّ منهم، تراوحت ما بين رغبةٍ في تحقيق أُمنية، أو إشباعٍ لحُبِّ استطلاع جسدي، أو بفرحٍ محدود بشخص يحمل معه أَمَل تحقيق طموح أرضي، أو كَرَدِّ فعلٍ لنشوةٍ وفرحٍ ببشارة سمائيَّة، أو انبهار بعملٍ معجزي يمكن الاستفادة به. وقد تكون الرغبة في رؤية يسوع تعود لغرضٍ شريرٍ في عقل وقلب صاحبه، كهيرودس الملك، أو يهوذا الإسخريوطي، أو غير ذلك.

وهنا يواجِهنا السؤال الذي سأله الربُّ يسوع لمريم المجدليَّة عند القبر: «مَنْ تَطْلُبِينَ؟» (يو ٢٠: ١٥)، ولعلَّه سؤالٌ مُوَجَّه لكلِّ واحدٍ مِنَّا. ويا للأسف، فإنَّ مريم المجدليَّة أخْفَقَت في الإجابة الصحيحة. فمريم قد جاءت إلى القبر تَطلب وتَبحث عن يسوع المُعلِّم المائت والمَدْفون في القبر لكي تُطيِّب الجسد المائت، ولمَّا لم تجده بَكَتْ عليه كمَيتٍ غير موجود، أو كجثَّة هامدة؛ ولمَّا نَظرته حيًّا، لم تَنظر إليه كإلهٍ حيٍّ قائم من الموت، بل كَبُستاني حارس

للقبر! لذلك غَرَقَت في دموعها وأحزانها. ولم يكن هناك مِن حَلٍّ ينتشلها من هذا الحزن، ويُنعش روحها المُنكَسِرة، سوى رؤية الربِّ قائمًا من الموت، ومُظهِرًا لها ذاته، لكنه لم يَدعها تَلمسه حتى يَنضُج إيمانها.

إنَّ رؤية الربِّ يسوع تعني معرفته واستعلانه داخل القلب والوجدان، كما سَبَقَ القول، وهذه الرؤية تَتَمثَّل في التعرُّف على شخصه الساكن فينا، والمُستَحوِذ على كلِّ كيان الإنسان وإدراكه، وعلى كلِّ طاقات الحُبِّ والإيمان والاشتياق نحوه. وهذه هي عَيْن الإيمان التي نَستطيع بها أن نَتَعرَّف على شخص يسوع المسيح فينا، وإن كانت الرؤية الآن غير كاملة، كما في مرآة؛ فنحن على ثقة أنَّنا سنراه كما هو، لأنَّنا سنكون مثله، بفضل نِعمته، كما كَتَبَ القدِّيس يوحنا الرسول بالروح: «وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ» (١يو ٣: ٢).

ويقول الأب متى المسكين عن معونة الربِّ لنا، بإعلانه عن نفسه، وإظهاره لشخصه لِمَن يُحبُّه، بِغَضِّ النَّظَر عن جهد الإنسان وسَعيه الضعيف لتحقيق هذه الرؤية: "مِن هذا يَتَّضِح أنَّ الأمر الذي كان مستحيلًا على الإنسان بالجهد أو الاستحقاق، وهو رؤية الربِّ، قد صار مُمكنًا بظهور الربِّ كفعل محبَّة وعمل مجَّاني؛ ولا يزال هذا قائمًا حتى الآن. فمحاولة رؤية الربِّ أمرٌ مستحيل على الإنسان إلَّا بالقدر الضئيل الذي يتناسب مع طهارة الإنسان وحُبِّه وطاعته لوصايا الربِّ؛ وأمَّا ظهور الربِّ فيُعطَى للإنسان بلا قيدٍ أو شرطٍ ولا جهدٍ ولا استحقاقٍ، إذ يَمنح الربُّ القُدرَة والقداسة للإنسان التي يرى بها الله كما هو، أي كما يشاء الله أن يُعلِن له"[٢] .

إنَّ شخص الربِّ يسوع الذي نريد رؤيته لم يَعُد مَطمَحًا لرؤية ماديَّة أو حِسِّيَّة أو زمنيَّة لشخصٍ نَعرفه في هذه الحياة، ولا حتى وجوده صار محدودًا بمكانٍ معروف – كبيت لحم أو أورشليم مثلًا – بل صار طلبًا واشتياقًا بروح الإيمان والالتصاق به كإلهٍ حيٍّ، **ساكنًا بروحه فينا،** بحسب ما يقول بولس الرسول بالروح: «لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ» (أف ٣: ١٧)، وقوله أيضًا بالروح: «يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضًا إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ» (غل ٤: ١٩). **(البقية صفحة ٣١)**

(٢) "حياة الصلاة الأرثوذكسيَّة"، للأب متى المسكين، ص ١٦٣.

معمودية الربِّ يسوع[1]

❖❖❖

معمودية المسيح كانت مُقدِّمة أو فاتحة لظهوره وخدمته العلنيتَيْن. ومِن هنا بدأ عصر "المسيَّانية"، أي عصر "مسيًّا" (المسيح) يسوع ابن الله الأزلي المُتجسِّد. ويأتي ذِكْر حَدَث المعمودية في (مت ٣: ١٣–٤: ١١؛ مر ١: ٩–١٣؛ لو ٣: ٢١،٢٢؛ يو ١: ٣٢–٣٤).

أما نبوَّات الأنبياء في العهد القديم، فقد أوضحت بأنَّ العصر "المسيَّاني" سوف يبدأ بانسكاب الروح القدس (نبوَّة يوئيل – الأصحاح الثاني) الذي يبدأ بالنداء: «اِضْرِبُوا بِالْبُوقِ فِي صِهْيَوْنَ... لأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَادِمٌ، لأَنَّهُ قَرِيبٌ»، ثم يُنادي الشعب: «ارْجِعُوا إِلَيَّ بِكُلِّ قُلُوبِكُمْ، وَبِالصَّوْمِ وَالْبُكَاءِ وَالنَّوْحِ. وَمَزِّقُوا قُلُوبَكُمْ لاَ ثِيَابَكُمْ، وَارْجِعُوا إِلَى الرَّبِّ إِلهِكُمْ»، ثم يُشير إلى تجسُّد ابن الله بقوله: «وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي وَسْطِ إِسْرَائِيلَ» (عمانوئيل "الله معنا")، ثم يُعطي الوعد: «وَيَكُونُ بَعْدَ ذلِكَ (بعد التوبة) أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ (وليس فقط كما كان سائدًا على الكهنة والأنبياء والملوك فقط)... وَعَلَى الْعَبِيدِ أَيْضًا وَعَلَى الإِمَاءِ (جمع "أَمَة" أي "عَبْدَة") أَسْكُبُ رُوحِي فِي تِلْكَ الأَيَّامِ».

❖ ففي المعمودية تمَّ تكريس أو ختم إرسالية يسوع بطريقة علنية ليكون "مسيًّا"، أي تحقيق نبوَّة يوئيل: «وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا (يهوه) فِي وَسْطِ إِسْرَائِيلَ (الله معنا)»، وذلك بانسكاب الروح القدس عليه علنيًّا أمام شعب إسرائيل.

معمودية المسيح كانت تتضمن تكريسه لخدمته العلنية، والتي كانت هذه المعمودية بمثابة سَبْق الإشارة إلى موته وقيامته، وأيضًا إلى تأسيس سرِّ حلول الروح القدس على المؤمنين في الكنيسة العابدة، اقتداءً بالمسيح، وسَبْق توقُّع لطقس المعمودية المقدَّسة، وسرِّ المسحة المقدَّسة، وسرِّ رُتَب الكهنوت الجديد المقدَّس.

---

(١) عن كتاب: "تأملات في شخص المسيح الحي"، للمُتنيِّح الأب باسيليوس المقاري (تذكار نياحته ١ يناير)، الطبعة الأولى: ٢٠٢١، من صفحة ١٩٤ – ١٩٧.

إعلان عناصر الأسرار الكنسيَّة في معمودية يسوع:

لقد احتوت معمودية يسوع على عناصر عديدة مترابطة مع النبوَّات عن الأسرار الكنسية.

معمودية يوحنا: إنَّ معمودية المسيح بيد يوحنا المعمدان هي أهم حَدَث في خدمة المسيح؛ لأن خدمة يوحنا المعمدان كانت بمثابة الجسْر بين العهد القديم وبين العهد الجديد بطريقتين: بتلخيص وتحقيق نبوَّات الأنبياء في العهد القديم، وبالتبشير بالتوبة كطريق نحو العهد الجديد. وهذا ظاهرٌ في نبوَّة يوئيل التي يدعو فيها الشعب إلى التوبة، أي "تمزيق القلب"، وليس "تمزيق الثياب" كطريق للرجوع إلى الله، ليكونوا أهلًا لانسكاب الروح القدس عليهم. **فبقبول المسيح معمودية يوحنا، بدأت شخصية يسوع تظهر أمام الشعب،** وكأن هذه المعمودية كانت الخطوة التمهيدية **لإعلان يسوع أنه ابن الله المُتجسِّد الآتي إلى العالم، الذي كان شعب العهد القديم ينتظرونه على مدى الأجيال.**

❖ لقد انكشف المسيَّا يسوع ليوحنا المعمدان بعد أن كان لا يعرفه[٢]، ثم عرفه بعد العلامة التي أعطاها الله ليوحنا: «وَشَهِدَ يُوحَنَّا قَائِلًا: **"إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ. وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ، لكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي لأُعَمِّدَ بِالْمَاءِ، ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلًا وَمُسْتَقِرًّا عَلَيْهِ، فَهذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هذَا هُوَ ابْنُ اللهِ"**» (يو ١: ٣٢–٣٤).

لقد أكمل المسيح كلَّ برٍّ، باندماج الخطاة في طبيعته البشرية: حينما «جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الأُرْدُنِّ إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ. وَلكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلًا: "أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!". فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: "اسْمَحِ الآنَ، **لأَنَّهُ هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرٍّ**". حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ» (مت ٣: ١٣–١٥)؛ هذا الحوار بين يوحنا ويسوع كان ينطوي على لحظةٍ ذات أهمية فارقة: فيوحنا اعترض بأنَّ يسوع ليس ضمن الآتين لنوال معمودية التوبة، لأنه "بلا خطية وحده"؛ والرب يسوع يصرُّ على اندماجه وتوحيد نفسه وطبيعته البشرية مع الخطاة، وحُجَّته في هذا: **«لكي نُكمِّل كلَّ برٍّ».**

فمعمودية يسوع لم تكن تعني توبة عن خطايا شخصية له، ولكن اندماجه النابع من محبته

(2) John Chrysostom, *Hom. On John*, XVI; NPNF, 1st Ser., Vol. XIV, pp. 55-60.

وحنانه على الخطاة (وهذا هو سبب تجسُّده: "غُلِبَ من تحنُّنه" – ثيئوتوكية الاثنين – الأبصلمودية السنوية). نقول اندماجه وتوحيد نفسه مع الجنس البشري بسبب الخطايا، هو الذي دفعه إلى معمودية التوبة، لكي ينتقل البرُّ الشخصي الذي له إلى البشرية الخاطئة التي يحمل طبيعتها في نفسه، ولكن بدون خطية شخصية له. وهذا هو سرُّ تجسُّد ابن الله ومعناه، بحسب تعليم آباء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وسائر الكنائس الشرقية الأرثوذكسية:

[إن كان من أجلنا يُقدِّس نفسه (يو ١٧: ١٩)، وهذا يفعله إذ صار إنسانًا؛ فواضح أن نزول الروح عليه في الأردن **كان نزولًا علينا بسبب أنه يحمل جسدنا...** لم يكن هذا (النزول) لرفعة الكلمة، **بل لتقديسنا نحن، لكي نأخذ من مسحته،** فيُقال عنَّا: «أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟» (١كو ٣: ١٦). لأنه لمَّا اغتسل الرب في الأردن كإنسان، كنَّا **نحن فيه ومعه الذين نغتسل. وحينما اقتبل الروح، نحن الذين كُنَّا معه مُتقبِّلين هذا الروح]**[٣] **– القديس أثناسيوس الرسولي.**

[إنه مُسِحَ، لكي أيضًا كإنسان – إذ يُقال إنه مُسِحَ بالروح – **يُهيِّئ لنا نحن البشر سُكْنَى الروح وأُلفته، كما الرِّفعة والقيامة]**[٤].

[فحينما يُقال الآن، بشريًّا، إنه مُسِحَ، **فنكون نحن الممسوحين فيه. ولمَّا تعمَّد فنحن المُعتمدين فيه]**[٥].

❖ الرب يسوع اعتمد في نفس النهر الذي من خلاله دخل بنو إسرائيل أرض كنعان في العهد القديم. إنَّ المعمودية المسيحية تُمكِّن المُعمَّد من العبور من خلال **"نهر" آخر،** هو العبور من الموت إلى الحياة، ومن الخطية إلى النعمة؛ وهكذا ننتقل إلى ملكوت ابن محبة الآب، المرموز له قديمًا بعبور بني إسرائيل قديمًا إلى الأرض الموعودة (يشوع ٣: ١٧؛ ٤: ١ – ٢٤؛ مز ١١٤: ٣ – ٥؛ ٢مل ٥: ١٤).

بنزول الروح القدس على الرب يسوع، انفتحت السموات:

«وَإِذْ كَانَ (المسيح) يُصَلِّي انْفَتَحَتِ السَّمَاءُ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ» (لو ٣: ٢٢؛ مت ٣: ١٦). إنَّ التواصُل الإلهي/ البشري الذي تقلَّص بسبب الخطية،

---

(٣) "ضد الآريوسيين" ١: ٤٧.
(٤) نفس المرجع ١: ٤٦.
(٥) نفس المرجع ١: ٤٨.

ها هو انفتح من جديد بمعمودية يسوع (مت ٧: ٧،٨؛ ٢٧: ٥٢؛ يو ٩: ١٠–٣٢).

ففي معمودية يسوع، **نزل الروح القدس.** وكان هذا إيذانًا واستباقًا لِمَا سيحدث في سرِّ المعمودية، حيث صار يحلُّ في المؤمن المُعمَّد. لذلك، فإنَّ نزول الروح القدس لم يكن ليسوع وحده؛ بل لكلِّ الذين هم بالإيمان مخبوؤون فيه.

نزول الروح القدس مثل حمامة: لقد ظهر الروح بهيئة حمامة، لكي تحتفي البشرية بحلول السلام، سلام الله الذي كان يعمل في المسيح[٦]. ويشترك آباء كثيرون من آباء الكنيسة في شرح لماذا ظهر الروح في هيئة "حمامة"؟ **فالعلَّامة ترتليان** يتأمَّل في هذا، قائلًا:

[لأن جسد الحمامة ليس فيه المرارة. لذلك فبعد الطوفان الذي به تطهَّر العالم من الشرِّ، بعد "معمودية" العالم، كانت الحمامة هي رسول السلام الذي أعلن للأرض إطفاء غضب السماء، والتي أطلقها نوح من الفُلْك وعادت تحمل غُصن الزيتون، الذي كان علامة انتهاء الطوفان وعودة السلام بين الأُمم][٧].

---

(6) Origen, *Canticles*, Hom. 11.12; Hippolytus, *Theophany*, VI.

(7) Tertullian, *Baptism*, VIII; ANF, Vol. III, p. 673.

****

(بقية المنشور صفحة ٢٧ - "أين يولَد المسيح؟")

فقد **انطبعت فينا صورة المسيح ولم تَعُد خارجنا،** ولم يَعُد هناك معنًى أو أهميَّة لمحاولة نَظر المسيح ومعرفته حسب الجسد؛ فالمسيح «الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ»، قد انطبعت صورته في قلوبنا، فصرنا نحن **صورة الصورة**[٣].

ويَبقى علينا فقط، أن نَجتهد كلَّ يوم لنُجلِي هذه الصورة أمام أَعيُننا، وأن نَسعى لنَتَقابل معه وننْصت لصَوته الحنون داخلنا، لكي نُتمِّم مشيئته في حياتنا. وهو سوف يَعمل فينا، ويُظهِر مجدَه وذاته لنا كلَّ يوم أكثر فأكثر، حتى تَستنير أَعين قلوبنا وتَكتَحِل برؤياه، وتَشبع من دَسم معرفته، إلى أن يأتي الزمان ويُغَيِّر «شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ» (في ٣: ١١)، لنراه كما هو في مجدِه الحقيقي.

---

(٣) انظر كتاب: "الخلاص عند القديس أثناسيوس"، د. نصحي عبد الشهيد، ص ١٥.

جوهر الحياة الروحية

بحسب تعليم القدِّيس أنبا أنطونيوس

في رسائله العشرين[١]

(١)

❖❀❖

في الحياة الروحية

بمناسبة تذكار نياحة
القدِّيس العظيم أنبا أنطونيوس
(٢٢ طوبة/ ٣١ يناير)

يدعونا القدِّيس أنطونيوس أن نهتمَّ بـ "الأعمال الجوهرية، لا بتلك الأعمال غير الجوهرية" (رسالة ٧: ٥، ص ٣٧). وليس من الصعب على مَنْ اطَّلع على رسائل أنبا أنطونيوس[٢] أن يعرف ما هي الأشياء الجوهرية في نظر أبينا أنبا أنطونيوس!

إنها: اقتناء الروح القدس، واقتناء النار الإلهيَّة، ومحبة الله من كلِّ القلب.

ونتيجة ذلك هو الفرح السماوي في الليل وفي النهار، والسهولة والحلاوة في كلِّ أعمال الله التي تصير أحلى من العسل والشهد. وحينئذٍ يشعر الإنسان وكأنه انتقل إلى الملكوت وهو لا يزال في الجسد.

وجديرٌ بنا أن ننصت بانتباه إلى ما يقوله أنبا أنطونيوس بخصوص كلٍّ من هذه الأمور:

اقتناء الروح القدس:

أهم رسالة يتكلَّم فيها أنبا أنطونيوس بحرارة عن اقتناء الروح القدس هي الرسالة الثامنة. وجديرٌ بالمُلاحظة أنَّ هذه الرسالة الثامنة بالذات هي المعُتَبَرَة في التقليد أهم رسائله، وأنها بمثابة ميراثه الروحي لأولاده. فنقرأ في عنوان هذه الرسالة: "ويجب أن تُقرأ هذه الرسالة في عيد نياحته"، وكأنها وصيته الأخيرة التي يُسلِّم بها ميراثه لأولاده:

[ذلك الروح الناري العظيم الذي قبلته أنا، اقبلوه أنتم أيضًا! وإذا أردتم أن تقبلوه ويسكن فيكم، قدِّموا أولًا أتعاب الجسد وتواضُع القلب، وارفعوا أفكاركم إلى السماء في

---

(١) الأقوال المُقتَبَسَة من الرسائل العشرين، مُطابقة للمخطوط م ٢٣ بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار مع تنقيح لغوي طفيف. وأرقام الصفحات مُطابقة لصفحات كتاب: "رسائل القدِّيس أنطونيوس العشرون"، إصدار دير القدِّيس أنبا مقار، الطبعة الخامسة: ٢٠٢٠.

(٢) هذه الرسائل موجَّهة – أصلًا – للرهبان، ولكنها تصلح لكلِّ مسيحي.

الليل والنهار. واطلبوا باستقامة قلب هذا الروح الناري، وحينئذ يُعطَى لكم ...

ولا تُفكِّروا في قلوبكم وتكونوا ذوي قلبين، ولا تقولوا مَنْ يقدر أن يقبل هذا؟ لا يا أولادي، لا تدعوا هذه الأفكار تأتي على قلوبكم، بل اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تقبلونه.

وأنا أيضًا، أبوكم، أجتهد معكم وأطلب لأجلكم لكي تقبلوه، لأني أعلم أنكم كاملون وقادرون على قبوله. لأن كلَّ مَنْ يُفلِّح ذاته بهذه الفِلاحة، فإنَّ الروح يُعطَى له من جيلٍ إلى جيل وإلى الأبد ... أديموا الطِّلبة باجتهادٍ من كلِّ قلوبكم فيُعطَى لكم، لأن ذلك الروح يسكن في القلوب المستقيمة.

وإذا قبلتموه، فإنه يكشف لكم الأسرار العُلوية وأشياء أخرى لا أستطيع أن أُعبِّر عنها في قُرطاسٍ بقلمٍ ومداد. فهو يُبعِد عنكم خوف البشر، والوحوش، والمجاعة، وكل ما يُشبه ذلك. ويكون لكم فرحٌ سماوي ليلًا ونهارًا، وتكونون – وأنتم في الجسد – كمَنْ هو في الملكوت.

حينئذ لا تطلبون عن أنفسكم فقط، بل تطلبون عن الآخرين أيضًا. لأن كلَّ مَنْ قَبِلَ هذا الروح لا ينبغي له أن يطلب عن ذاته فقط، لكن أيضًا عن الغير كما صنع موسى. فهو لَمَّا قَبِلَ هذا الروح، صلَّى من أجل الشعب قائلًا: «إن أهلكتَ هؤلاء، فامحُ اسمي من سِفْر الحياة» (خر ٣٢: ٣٢).

أمَّا أنا فطلبتي الآن ليلًا ونهارًا أن تكون فيكم عظمة لذَّة هذا الروح الذي قَبِلَه جميع الأطهار] (رسالة ٨: ١، ٢، ص ٧٦ – ٧٧).

إنَّ صوت أنبا أنطونيوس يهزُّ نفوسنا عَبْر الدهور، وهو يُناشدنا بحماسٍ أن نشترك معه في اقتناء الروح القدس: "هذا الروح الناري العظيم الذي قبلته أنا، **اقبلوه أنتم أيضًا**". إنه صوتٌ حيٌّ له فعالية وسلطان مستَمَدٌّ من سلطان المسيح نفسه الذي «نَفَخَ (في وجوههم) وَقَالَ لَهُمُ: "**اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ**"» (يو ٢٠: ٢٢)، فَقَبِلَه جميع الحاضرين.

وفي موضعٍ آخر، يدعو أنبا أنطونيوس أولاده أن يقبلوا "معمودية الروح القدس"، وهو لا يقصد بذلك قبول معمودية أخرى غير المأخوذة في سرِّ المعمودية، ولكنه يقصد تفجُّر الطاقات الكامنة المأخوذة في سرِّ المعمودية:

[إنَّ يوحنا السابق عمَّد بالماء للتوبة ليجتَذبنا إلى معمودية ربنا يسوع المسيح الذي

عمَّد بالروح القدس والنار.

فلنستعدَّ الآن أن نُنقِّي ذواتنا، جسدًا وروحًا، لنقبل معمودية ربنا يسوع المسيح ونعمل ونرفع ذواتنا قربانًا مقبولًا له.

(يُلاحَظ أنَّ أنبا أنطونيوس هنا لا يُخاطِب موعوظين سيقبلون سرَّ المعمودية، بل يُخاطِب رهبانًا يدعوهم إلى قبول قوَّة المعمودية التي قبلوها بالسرِّ فيما سبق).

لأن الروح المعزِّي الذي أخذناه في المعمودية، يُعطينا العمل بالتوبة ليردَّنا ثانيةً إلى رئاستنا الأولى، فنرث الميراث الذي لا يزول.

واعلموا أيضًا أنَّ كلَّ الذين يعتمدون في المسيح، فالمسيح يلبسون، كما قال الرسول (غل ٣: ٢٧)، وينالون نعمة الروح القدس] (رسالة ٧: ٥، ص ٣٧ – ٣٨).

[اجعلوا هذا الجسد الذي أنتم لابسوه، مجمرة ترفعون فيها جميع أفكاركم ومشوراتكم الرديئة، وتضعونها أمام الرب، ليرفع قلوبكم إليه. اطلبوا منه بكلِّ قوَّة العقل أن يُنعِم عليكم بإتيان ناره غير الهيولانية من العلاء إليكم، لتحرق كلَّ ما في تلك المجمرة وتُطهِّرها ... وحينئذٍ تنظرون أثر إنسانٍ طالعًا بالماء من الينبوع الإلهي، ويُمطِر لكم المطر الروحاني الذي لروح الباراقليط. فإذا نلتم، يا أولادي، هذه المواهب الفاضلة، لا تظنُّوا أنها من أعمالكم؛ بل هي قوَّة مقدَّسة مشتركة معكم في جميع أعمالكم] (رسالة ٦: ٨، ص ٢٩ – ٣٠).

ثمار الروح:

ثمار اختبار الروح القدس سبق أن ذكرها القدِّيس أنطونيوس في الرسالة ٨:

[إنه يكشف لكم الأسرار العُلوية ... ويكون لكم فرحٌ سماوي ليلًا ونهارًا، وتكونون وأنتم في الجسد كمَنْ هو في الملكوت] (رسالة ٨: ٢، ص ٥٤).

ويُكرِّر ذِكْرها في مواضع أخرى ويُضيف لها الحلاوة والسهولة في جميع أعمال الله:

[فإذا سكن روح الله فيهم، فإنه يُريحهم في جميع أعمالهم، ويُحلِّي لهم نِير الله كما كُتِب في الإنجيل: «اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ ... لأَنَّ نِيرِي **هَيِّنٌ** (أو حلو **ⲭⲣⲏⲥⲧⲟⲛ** بحسب الترجمة القبطية)» (مت ١١: ٢٩، ٣٠). ويصيرون لا يتعبون قط، لا في عمل الفضائل، ولا في الخدمة، ولا في سهر الليالي. ولا يغضبون من شتيمة الناس، ولا

يخافون البتَّة من إنسان ولا من وحش ولا من غلاء ولا من جان، لأن فرح الله معهم ليلًا ونهارًا] (رسالة ١٨: ٣، ص ١٢٥).

[اعلموا، يا أولادي الأحبَّاء بالرب، أنَّ الروح القدس أزلي سرمدي يفوح رائحة ذكيَّة حلوة لا توصَف بلسان، كما قيل: "مَنْ هم الذين عرفوا لذَّة الروح وحلاوته إلَّا الذين استحقَّوا أن يحلَّ فيهم؟"] (رسالة ١٩: ١، ص ١٣٠).

[وهذا الروح، يا أولادي الأحبَّاء، لَمَّا طلبه القدِّيسون وجدوه. وهو الحجر الحقيقي الذي ذُكِر في الإنجيل المقدَّس: «إن إنسانًا تاجرًا كان يطلب الجواهر الحسنة، فوجد دُرَّة كثيرة الثمن، فمضى وباع كلَّ ما له واشتراها» (مت ١٣: ٤٥، ٤٦). ومكتوبٌ أيضًا أنَّ «كَنْزًا مُخْفًى فِي حَقْلٍ، وَجَدَهُ إِنْسَانٌ فَأَخْفَاهُ. وَمِنْ فَرَحِهِ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَى ذلِكَ الْحَقْلَ» (مت ١٣: ٤٤). هكذا القدِّيسون، يا أحبَّائي، في كلِّ الأجيال، عندما وجدوا هذا الروح وسكن فيهم، قدَّموا للربِّ شكرًا عظيمًا. فالروح القدس لا يسكن إلَّا في نفوس مثل هؤلاء الطوبانيين، وهو يكشف لهم أسرارًا عظيمة، ويُعطيهم فرحًا وراحةً لقلوبهم في هذا العالم، ويجعل ليلهم مثل النهار] (رسالة ١٩: ٣، ص ١٣١).

ونفس هذه الثمار تأتي من حلول الله فينا:

[ولأجل أنَّ اللاهوت فيكم، فأنا أحبكم بكلِّ قلبي وروحي لاقتنائكم الله فيكم، وقد صرتم عندي في محلٍّ عظيم. وأنا دائمًا أطلب من إلهي لأجلكم، أن تنمو في قلوبكم الإلهيَّات بمحبته، وأن يكشف لكم عِظَم سرائره التي لا يمكنني أن أُعبِّر عنها بلساني، لأنها في غاية الرِّفعة والعظمة، وليست مثل التي لهذا الدهر. وهي لا تُكشَف للأنفس غير الطاهرة، بل للذين طهَّروا قلوبهم من كلِّ النجاسات ومن أعمال هذا الدهر الزائل. هؤلاء هم الذين أبغضوا العالم حتى نفوسهم، وحملوا الصليب وتبعوا الرب في كلِّ شيء، وعملوا بإرادته.

فهؤلاء حلَّت فيهم اللاهوتيَّة، وأعطتهم حلاوةً وفرحًا بالله. وهذا الفرح يُغني النفوس ويجعلها تنمو بزيادة. وكما إنَّ الأشجار إن لم تشرب من طبيعة الماء لا يمكنها أن تنمو؛ فهكذا النفس إن لم تقبل الفرح السماوي لا يمكنها أن تنمو إلى العلاء، لأنها قد حفظت ما قلناه سابقًا، وانكشفت لها أسرار ملكوت السموات وهي في هذا الجسد، وَوَجَدت الدَّالة أمام الله في كلِّ شيء، وكمل لها جميع طلباتها] (رسالة ١٣: ١، ص ٨٩، ٩٠).

ولكن، ماذا نعمل لنقتني الروح القدس؟

ينبغي أولًا أن نُزيل ما يمنع حلول الروح القدس فينا، لأن الروح نفسه يشتهي أن يملأنا ونحن الذين نمنعه من ذلك:

[أُمكم سارة، التي هي الروح ... **تشتهي** أن تُكمِّلكم] (رسالة ٨: ١، ص ٧٥ - ٧٦).

لذلك ينبغي أن نحرص على الابتعاد عمَّا يُعطِّل الروح من تتميم شهوته فينا:

[روح الله لا يسكن في نفسٍ أو جسدٍ خاطئ (حك ١: ٤)، لأنه قدوسٌ وبعيدٌ عن كلِّ غش] (رسالة ٤، ص ٢١).

[وهكذا أيضًا الروح القدس لا يسكن في نفسٍ مُتكبِّرة، بل في نفوس المُتواضعين الذين أفكارهم جميعها في الكمال] (رسالة ١٩: ٣، ص ١٣٠).

ثم ينبغي أن نرفع أفكارنا باستمرار إلى السماء، ونطلب باستمرار الامتلاء من الروح القدس، وهذا ما سبق أن قرأناه في رسالة ٨:

[وإذا أردتم أن تقبلوه ويسكن فيكم، قدِّموا أولًا أتعاب الجسد وتواضُع القلب، وارفعوا أفكاركم إلى السماء في الليل والنهار. واطلبوا باستقامة قلب هذا الروح الناري، وحينئذٍ يُعطَى لكم] (رسالة ٨: ٢، ص ٧٦).

وأيضًا في الرسالة ٥:

[إنَّ كلَّ مَنْ لم يُبغِض ما يختص بالطبيعة الهيولانية الأرضية مع كلِّ أعمالها بكلِّ قلبه، ويبسط عقله نحو العلاء لآب الكل؛ لا يستطيع أن يخلُص. أمَّا مَنْ يعمل هكذا كما قلتُ، فإنَّ ربنا يتراءف على أتعابه ويُنعِم له بالنار غير المرئية ولا هيولانية، لتحرق كلَّ الأوجاع التي فيه وتُطهِّر عقله. عند ذلك يسكن فيه الروح الذي لربنا يسوع المسيح، ويكون معه ليستطيع أن يسجد للآب كما يجب] (رسالة ٥: ٣، ص ٢٣).

والصلاة لها الدور الأساسي في اقتناء الروح القدس. وهذه الصلاة يجب أن تكون بلا انقطاع "في الليل والنهار" (رسالة ٨: ١، ص ٧٦)، وباجتهادٍ ومن كلِّ القلب: "أديموا الطِّلبة باجتهاد من كلِّ قلوبكم فيُعطَى لكم" (رسالة ٨: ٢، ص ٧٦)، وبإيمانٍ راسخ: "ولا تُفكِّروا في قلوبكم وتكونوا ذوي قلبين، ولا تقولوا مَنْ يقدر أن يقبل هذا؟ لا يا أولادي، لا تَدَعوا هذه الأفكار تأتي على قلوبكم، بل اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تقبلونه" (رسالة ٨: ١، ص ٧٦).

(يتبع)

ذكرى الصدِّيق
تدوم إلى الأبد

الراهب أليشع المقاري

رجل الصلاة والرحمة

الحياة في وادي الريان:

في الرابع والعشرين من شهر يناير، تحلُّ الذكرى الخامسة لنياحة الراهب المُجاهد القس أليشع المقاري، الذي تنيَّح في مثل هذا اليوم من عام ٢٠١٩م. هذا الأب الذي ترك بصمةً لا تُمحى في كلِّ مكانٍ حلَّ فيه.

تتلمذ أبونا أليشع على الأب متى المسكين منذ بداية الخمسينيات من القرن الماضي. وكان أبونا متى في ذلك الوقت قد ذهب مع جماعته الرهبانيَّة للإقامة في وادي الريان بصحراء الفيوم سنة ١٩٥٩م. وكان الأخ أمين (أبونا أليشع) هو الذي كان يمدُّهم بما يحتاجونه من مساعدة وطعام. فكان يأتيهم بسيارته الجيب من القاهرة، ومنها إلى الفيوم، ثم وادي الريان. وكان يقضي معهم خلوات طويلة قبل رهبنته هناك. وفي سنة ١٩٦٢م، مكث "الأخ أمين" هناك، وصمَّم أن لا ينزل العالم مرةً أخرى. وقَبِله أبونا متى ورسمه راهبًا باسم "أليشع". وقال له الأب متى المسكين: [أنا أسميتُك أليشع، لأنه كما أَخَذَ أليشع النبي نصيب اثنين من روح إيليا النبي؛ هكذا أنت ستأخذ نصيب اثنين من روح أبيك الروحي]. وكان الأب متى يُشيد كثيرًا بأبينا أليشع.

كانت الحياة في وادي الريان أشبه بحياة آباء البريَّة في الجيل الرابع. فالمؤن الغذائيَّة شحيحة، والطبيعة قاسية، والمياه مالحة. ومع كلِّ هذه المشقَّة والتعب، كان الفرح والقوَّة يملآنهم. وكان أبونا متى معهم يُشجِّعهم بكلامٍ روحي؛ بل إنَّ الربَّ كان يُعزِّي هؤلاء الرهبان المُنعزلين في هذه البريَّة الجرداء. وكان أبونا اليشع مُشاركًا إخوته الرهبان في كافة أعمالهم.

ويحكي أبونا أليشع عن هذه الفترة، أنَّه كان يقضي طوال اليوم في صلاةٍ دائمة حتى في أوقات عمله؛ أمَّا مُعظم ليله فكان يقضيه في مغارته في التأمُّل في الإنجيل والصلاة والتسبيح، حتى اقتنى شركةً عميقة ودالةً قويَّة مع الله. أقام أبونا أليشع مع الآباء في وادي الريان حوالي ٩ سنوات، إلى أن انتقل معهم إلى دير القديس أنبا مقار في مايو ١٩٦٩م.

الانتقال إلى دير القديس أنبا مقار، وبداية تعميره:

ومن بداية تعمير الدير، كان لأبينا أليشع اليد الطُّولى في إحضار كلِّ مستلزمات التعمير من: أسمنت وحديد مُسلَّح وأجهزة ومُعدَّات ... إلخ. واستلزم الأمر أن يُسافر أكثر من مرَّة خارج البلاد لإحضار احتياجات الدير من آلات زراعيَّة لاستصلاح الأراضي ... وقد تمجَّد الله معه بقوَّة في كلِّ مرة في إحضار هذه المعدَّات بشكلٍ معجزي. فكان يُسافر ويُحضِر كلَّ ما هو مطلوب منه، دون أن يكون معه رصيد، سوى إيمانه وثقته بالله.

وقد شهد له أبونا متى المسكين باستمرار، بأنَّ الأب أليشع أَخَذَ نعمةً فائقة من الله حتى صار يؤثِّر في العالم والعالم لا يؤثِّر فيه. كما شهد عن تجرُّده، قائلًا: [إن الأب أليشع أعطاه الله كثيرًا من أموال الدُّنيا، ولكنه زاهدٌ متجرِّد لا يبتغي شيئًا إلَّا وجه الله وحده، ولو أنَّ العالم طرح كلَّ كنوزه تحت قدميه لوطأها بقدميه!!]. وأيضًا شهد عن طهارته وسط العالم والعلمانيين، قائلًا: [لقد أثبَت أبونا أليشع أنه مرتفعٌ عن شهوات الدُّنيا، ولا يستطيع الشيطان أن يُغريه بكلِّ إغراءاته وأهوائه، لأنه مات حقًّا عن العالم وكلِّ ما فيه].

وفي الحقيقة،كان قلب الأب أليشع قد فاض باتساع محبته ليخرج خارج أسوار الدير. وكانت آيته المُفضَّلة في الكتاب المقدَّس، قبل وبعد الرهبنة، هي: «الدِّيَانَةُ الطَّاهِرَةُ النَّقِيَّةُ عِنْدَ اللهِ الآبِ هِيَ هذِهِ: افْتِقَادُ الْيَتَامَى وَالأَرَامِلِ فِي ضِيقَتِهِمْ، وَحِفْظُ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلَا دَنَسٍ مِنَ الْعَالَمِ» (يع ١: ٢٧). فعندما كان طالبًا، كان يوزِّع غالبية مصروفه على الفقراء؛ وعندما بدأ يعمل، كان يُعطي، لا من أرباحه فحسب، ولكن من رأس ماله أيضًا.

حكى لنا أنه عندما كان طالبًا في كلية التجارة، وكانت المحاضرة عن "عقود الملكيَّة"؛ أنَّه كتب عقد شراء شخصي بينه وبين المسيح، أنه يبيع نفسه له وحده.

أمَّا بعد أن صار راهبًا، فله حكاية أُخرى!! فمن المعروف أنَّ الراهب ترك كلَّ شيء ليهتمَّ ويلتصق بالواحد، ولكن الأب أليشع كان اعتقاده أنَّ الله أيضًا يريد رحمةً لا ذبيحة، وأنَّ الرحمة بالفقراء واليتامى إنما هي لشخص الربِّ نفسه، حسب قوله: «بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ» (مت ٢٥: ٤٠). وعلى ضوء هذه الآية، فكم من بيوت أرامل عالها! وكم من أُسرٍ سترها حتى استطاعت أنْ تشقَّ طريقها في الحياة!

ولأمانة الأب أليشع، استأمنه أحد العلمانيين الأسخياء على مبلغٍ ضخم ليفعل به ما يشاء

لخدمة أولاد المسيح، فأنشأ صرحًا كبيرًا ليكون بيتًا للطلبة المُغتربين في حيِّ الزيتون بالقاهرة.

وذاع صيت الأب أليشع في محبته وعطائه، فما إن يسمع كلُّ مَنْ له احتياج من الفقراء والمُحتاجين أنه موجودٌ في بيت الطلبة، حتى يذهب إليه، وكان هو لا يصرف أحدًا فارغًا.

حياة العطاء والبذل:

كانت حياته هي عطاء وإنجازات مستمرة. يُذكَر أنه أقام ملجأ لليتيمات باسم: "السيِّدة العذراء" بالعجمي؛ كما هيَّأ مكانًا ليكون ديرًا للراهبات اللائي مررن بظروفٍ صعبة. وفي كلِّ هذا، لم يحسب نفسه إلَّا خادمًا وضيعًا للرب. يقول عن نفسه: [أنا أداة طيِّعة في يد الله لعمل الخير للجميع، والله يُسخِّرني لعمل إرادته لا إرادتي].

لقد كان أبونا أليشع يؤمن أنَّ الله هو الذي يُسدِّد كلَّ احتياجاته، كالمكتوب: «فَيَمْلأُ إِلهِي كُلَّ احْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (في ٤: ١٩). وذلك سواء بالإقدام وثقة الإيمان بالله القادر على كل شيء، أو باستمالة قلب الله باحتمال كلِّ شيء من أجله. وفي كل ذلك، لم يكن يطلب شيئًا لنفسه سوى مجد الله ومحبة القريب، سواء كان راهبًا أو علمانيًّا، كبيرًا أو صغيرًا، غنيًّا أو فقيرًا، مسيحيًّا أو مسلمًا. وفي هذا الصدد يقول: [إنَّ راحتي هي في راحة الآخرين، وسعادتي هي في سعادة الآخرين، مهما كانت المشقَّة التي أحتملها في سبيل ذلك].

كانت لأبينا أليشع ثقة قوية بالله، ففي أحداثٍ كثيرة مرَّت بنا، في الدير وفي الكنيسة، كنَّا منزعجين، نجلس نتباحث في كيفية حلها أو مواجهتها؛ في الوقت الذي كان فيه هو، بكلِّ هدوء وابتسام وسلام عجيب يقول: [وإيه يعني، ربنا أقوى، هو الذي يحل]، أو يقول: [ولا يهمكم، يسوع سيُدبِّر الأمر، تعالوا نُصلِّي]. وهذا ما كان يحدث دائمًا، وفي أسرع وقت. لقد كان صاحب إيمان بالله لا يُبارَى.

كان أبونا أليشع صاحب صلوات نارية ملتهبة، فكان دائمًا يدعونا للصلاة في كلِّ وقت، ومن أجل كلِّ الأمور. كان قادرًا، حتى وقت أتعابه الكثيرة، والتي اكتملت بمرضه العُضال والذي كان يحاول إخفاءه عن الجميع؛ كان قادرًا على تعزية أيِّ إنسانٍ متألم، وتشديد أيِّ شخصٍ يلجأ إليه أو مُشتكٍ أو مُتذمِّر، ليُحوِّل حزن الجميع وشكواهم إلى رجاءٍ وفرح لا يوصفان، مُتمِّمًا قول الإنجيل: «كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ» (٢كو٦: ١٠).

نعم، كان أبونا أليشع رجل صلاة بحقٍّ. يحكي أحدهم: [عندما أقف للصلاة معه، كنتُ أتمنى ألَّا تنتهي أو تُختم الصلاة من حلاوة كلماته مع الربِّ يسوع].

وننشر الآن نصَّ صلاة للأب أليشع كتبها في إحدى سفرياته خارج مصر:

يا ربي يسوع المسيح، إله الحب الكامل،

أعطِني حبَّك الكامل لكي أستطيع أن أحبَّك كما أحببتني، وأستطيع أن أحبَّ الآخرين كما تُحبُّهم.

لقد أتيتَ، يا سيِّدي، لتُلقي نارًا على الأرض، ولا تريد إلَّا اضطرامها.

أضرم، يا ربي، نار هذا الحب في قلبي، ولا تجعلها تنطفئ أبدًا؛

بل بروحك القدوس الذي نزل على تلاميذك القدِّيسين يوم الخمسين مثل ألسنة نار، اعمل به فيَّ لكي يشتعل قلبي ويتَّقد بحبِّك الإلهي، الذي يُعطيني، أنا عبدك، مذاقة الملكوت، ويرفعني فوق ضعفي وفوق العالم، فأراك يا إلهي وخالقي وفاديَّ ومُخلِّصي، وأتَّحد بك في محبتك ووداعتك واتضاعك. فأحيا لا أنا بل تحيا أنتَ فيَّ، مُتَّحدًا بروحي إلى الأبد.

متى يتحقَّق هذا يا ربي؟ ما أحلى المحبة!

املأني، املأني – يا ربي – بها، لأعيش بالفعل فيها، لأتلامس مع طبيعتك أنت "الله المحبة".

ليتك، يا سيِّدي، تفتح بصيرة البشر ليُدركوا جمالها، فيسود السلام في العالم بين كلِّ الناس.

وسِّع قلوبنا، لنستطيع بك أن نحبَّ كلَّ خليقتك.

أنت الرحوم، الذي تُشفق عليها، وتُعطيها حياةً ووجودًا، وتُباركها وتحفظها وتُنمِّيها.

مَنْ يقترب منك، يا سيِّدي، وتبقى فيه ذرَّة عداوة لأحدٍ!

أنت نور النفس، الذي تُضيء عتمتها بحبِّك؛ فتتوهَّج بالنور.

أيها الرب القدوس، غيِّرنا وجدِّدنا، لنحسَّ كلُّنا أننا فيك واحدًا، ليزول التنافُر والتناحُر بين بني البشر، ويسود الحب وحده، ويأتي ملكوتك على الأرض كما في السماء.

طوبى للإنسان الذي تكشفُ له سرَّك، وتسكب فيه حبَّك، فينطلق بروحه مُحرَّرًا من كلِّ أثقال القيود، ويقف أمام مجدك بلا عيب في الابتهاج، بهذا الحب الأزلي والأبدي، آمين.

الحياة اللّيتورجيَّة لكنيسة الإسكندرية[1]

(٩)

القرن السابع عشر الميلادي

في تاريخ الكنيسة:

+ مارَسَ بعض أثرياء الأقباط عادة تعدُّد الزوجات، إلى جوار التَّسرِّي، كمظهر من مظاهر التَّرَف، برغم تحذيرات الكنيسة المُتتالية في هذا الشأن. ووصل الأمر إلى حدِّ تزعُّم أحد المطارنة إباحة تعدُّد الزوجات، وذلك في أيام البابا مرقس الخامس (١٦٠٣–١٦١٩م) الـ ٩٨، الذي لم يجد أمامه سوى قَطْع المطران المذكور من شركة الكنيسة، وهو ما أزعج الكنيسة رَدحًا من الزمان، إذ استطاع أنصار تعدُّد الزوجات، وهم بعض أثرياء الأقباط في ذلك الحين، من عزل البابا، بالتجائهم إلى الدَّولة، ونصَّبوا راهبًا من أنصارهم بطريركًا جديدًا. ولكن، كانت جموع الأقباط الغفيرة تقف وراء البابا المعزول، حتى لم يجد البطريرك الحكومي الدخيل نصيرًا له، فعاد البابا الشَّرعي إلى كرسيِّه، لتنتهي فصول أكبر انشقاق عرفته الكنيسة القبطيَّة في العصر العثماني.

+ حدث خلافٌ بين أقباط الوجه البحري مع أقباط الصعيد في تحديد يوم عيد القيامة المجيد. وظلَّ هذا الخلاف مستمرًّا قرابة أربعين سنة.

+ كانت الشروط المُجحفة فيما يختصُّ بالكنائس، سواء من جهة بنائها أو ترميمها، مثار ألمٍ وحزنٍ وضنك للأقباط على مدى العصر العثماني. والقليل الذي كان يتغاضى عنه الحُكَّام، كان لا يفلت من ثورة العامة وهياجهم وبطشهم، على مرأى ومسمع من الإدارة.

+ وَفَدَ إلى مصر في هذا القرن كثيرٌ من الأجانب لمُزاولة التجارة، وأرسل بابا روما جماعة من الرهبان لنشر المذهب الكاثوليكي بين الأقباط، ففشلوا. وقد قام البابا متَّاؤس الرابع (١٦٦٠– ١٦٧٥م) البطريرك الـ ١٠٢ بالردِّ على محاولات المُبشِّرين الكاثوليك لزعزعة إيمان الأقباط في كنيستهم، خصوصًا لأنهم كانوا يدعونهم إلى إرسال أطفالهم إلى

---

(١) نتابع في هذا العدد تقديم موجز عن التاريخ اللّيتورجي لكنيسة الإسكندريَّة، وهو عن كتاب بنفس الاسم، صَدَرَ في جزئين سنة ٢٠١٨م، في حوالي ٨٣٠ صفحة. الكتاب الأول، عن العشرة قرون الأولى؛ والثاني، عن العشرة قرون الثانية، للراهب القس أثناسيوس المقاري.

فرنسا لاكتساب العلوم والفنون، وتشرُّب نمط الحياة الغربيَّة.

في بعض أصوام الكنيسة:

أصدر البابا غبريال الثامن (١٥٨٧– ١٦٠٣م) الـ ٩٧ في سنة ١٦٠٢م، أمرًا بتعديل الأصوام في الكنيسة القبطية كما يلي:

- أن يكون صوم الرسل من يوم تذكار العذراء ٢١ بؤونة، وفصحه في يوم الخامس من أبيب (أي ١٤ يومًا).
- أن يكون صوم السيِّدة العذراء، الذي يحلُّ في شهر مسرى اختياريًّا. فمَن صامه وفاءً لنذر قطعه على نفسه، فله ثوابه، ومن لم يصُمه، فلا جُناح عليه.
- أن يبتدئ صوم الميلاد في أول شهر كيهك، ويكون فصحه عيد الميلاد.
- أن لا تُصام ثلاثة أيام يونان.

وقد وافقت عليه الأُمَّة القبطية آنذاك، ولكن من بعد نياحة البابا غبريال الثامن عادت الأمور إلى ما كانت عليه.

في تسابيح آحاد شهر كيهك:

تزايَدَ في الكنيسة ظهور المدائح العربيَّة بأسلوب يميل كثيرًا إلى العاميَّة، مع سطحيَّة المعنى. وهو أسلوب يرقَى إلى المواويل أكثر منه إلى الأشعار الموزونة، لا إلى دُرر تعليم كنيسة الإسكندريَّة بمدرستها ولاهوتها. ومع ذلك، لا ينبغي أن نغفل ما كان لهذه المدائح من تأثيرٍ إيجابي على الشعب القبطي في أزمنة ضعف، جازتها الكنيسة.

ومن أشهر هؤلاء المؤلِّفين، "أبو السعد الأبوتيجي"، فهو من أوائل الشُّعراء الذين أدخلوا مدائح عربية على الأبصلموديَّة الكيهكيَّة.

القرن الثامن عشر الميلادي

في تاريخ الكنيسة:

+ كان مقرُّ البطريركية هو كنيسة العذراء المُغيثة بحارة الروم، بدءًا من البابا يؤانس السادس عشر (١٦٧٦– ١٧١٨م) الـ ١٠٣، وحتى البابا مرقس الثامن (١٧٩٦– ١٨٠٩م) الـ ١٠٨، والذي نَقَل مقر كرسيه إلى الكاتدرائيَّة المرقسيَّة القديمة بالأزبكيَّة. وبين هذين البطريركين، كان هناك البابا بطرس السادس (١٧١٨– ١٧٢٦م) الـ ١٠٤، والبابا يؤانس السابع عشر (١٧٢٧– ١٧٤٥م) الـ ١٠٥، والبابا مرقس السابع (١٧٤٥– ١٧٦٩م) الـ ١٠٦، والبابا يؤانس الثامن عشر (١٧٦٩– ١٧٩٦م) الـ ١٠٧.

+ شهد هذا القرن تحوُّل بعض رجال الدِّين الأقباط إلى الكاثوليكيَّة. وقام الأنبا يوساب أسقف جرجا المعروف بالأَبَح (١٧٣٥– ١٨٢٦م) بعمل مؤلَّفات ذات أسلوبٍ فلسفي ولاهوتي، بالردود على الحملات التبشيريَّة الكاثوليكيَّة.

+ ولمَّا جاءت الحملة الفرنسيَّة إلى مصر (١٧٩٨– ١٨٠١م) نشطت الإرساليَّات الكاثوليكيَّة، ودخل البلاد كثيرٌ من الإفرنج، وظلوا بها حتى بعد خروج الفرنسيِّين منها.

+ فَرَضَ حسن باشا القبطان على الأقباط سنة ١٧٨٦م، غراماتٍ كثيرة وزَّعها المسيحيون على أنفسهم، وكم عانت الفئات الفقيرة من الأقباط من جراء ذلك.

+ ظلَّ أثرياء الأقباط يقتنون الجواري، واستمرَّ بعضهم يُمارس التَّسرِّي برغم تحذيرات الكنيسة، التي لم تؤتِ بثمارها.

+ وفي أواخر هذا القرن، اقتحم جنود حسن باشا بيوت الأقباط، وجمعوا ما فيها من جواري، ويُعلِّق "الجبرتي" ويقول: "كان عددهم كثيرًا"! كما تمَّ الاستيلاء على الأوقاف القبطيَّة الضخمة للمعلِّم إبراهيم الجوهري، والتي أوقفها على الأديرة والكنائس القبطيَّة.

+ ساءت العلاقة بين الكنيسة والدولة العثمانية، حتى هرب البابا يؤانس الثامن عشر (١٧٦٩– ١٧٩٦م) من كرسيه، كما هرب الأساقفة الأقباط، وخَلَع الجميع ملابسهم الكهنوتيَّة وتنكَّروا في ثيابٍ أخرى، فلم يكن يُعرَف الكهنة من العلمانيين.

+ بعد أن انتشرت حالات الطلاق بين أثرياء الأقباط، أصدر البابا مرقس الثامن منشورًا ليقرأه الكهنة على الشعب في الكنائس، ويُحذِّر فيه أولئك الذين يُطلِّقون نساءهم، ويتَّخذون واحدة بعد واحدة؛ أنَّ عليهم أن يتوبوا، ويستردَّ كلُّ واحدٍ زوجته الأولى التي كلَّل عليها بحلول الروح القُدُس، وإلَّا لن يُسمَح لهم بالتقرُّب من القربان.

+ أصدر الأنبا يوساب أسقف جرجا منشورًا ينهى فيه الأقباط عن بعض المظاهر غير الأخلاقية التي كانت تحدث في أفراحهم، إذ دأب البعض على إحضار الراقصات إليها. وانتشر لعب الميسر بين الأقباط، ولجأ كثيرون إلى السِّحر، إلى جانب الضجيج والصَّخَب في القدَّاسات.

+ صار عدد الأقباط في مصر مع نهاية القرن الثامن عشر الميلادي لا يتجاوز المائة وخمسين ألفًا، منهم عشرة آلاف في مدينة القاهرة.

+ كما تقلَّص عدد الإيبارشيَّات إلى ١٤ إيبارشيَّة. وبلغ مجموع الكنائس في كلِّ أرجاء مصر نحو خمسمائة كنيسة، وسبعة أديرة للرهبان، وخمسة أديرة للراهبات. **(يتبع)**

بحث تاريخي

كنائس قبطية باسم القديس يوحنا المعمدان في مصر

(١)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي

أستاذ الآثار والفنون القبطية

ورئيس قسم الإرشاد السياحي بكلية الآداب – جامعة عين شمس

القدِّيس يوحنا المعمدان:

يُعدُّ القدِّيس يوحنا المعمدان أشهر القدِّيسين المسيحيين في العالم أجمع. وهو سابق على السيِّد المسيح، أي يكبره بحوالي ستة أشهر. ووالداه هما زكريا الكاهن وأليصابات، ووفقًا للتقليد المسيحي، كانا من منطقة عين كارم. ويُعرف القدِّيس يوحنا المعمدان بهذا الاسم، نظرًا لأنه قام بتعميد السيِّد المسيح في نهر الأردن. واستعمل آباء الكنيسة في الإسكندرية، مثل كليمندس وأوريجانوس، هذا الاسم. ومن الألقاب الأُخرى التي أُطلِقَت على القدِّيس يوحنا المعمدان: السابق – الصابغ – الشهيد الأول – المُعمِّد للمسيح – يحيى المعمداني. و"يحيى" هو الاسم الذي يُعرَف به في الدِّين الإسلامي. وتجدر الإشارة إلى أنَّ كثيرًا من القدِّيسين الأقباط يُعرَفون باسم يوحنا أو حنِّس[١] أو يؤانس داخل مصر وخارجها.

أعياد القدِّيس يوحنا المعمدان:

وتحتفل الكنائس القبطية بأعياد القدِّيس يوحنا المعمدان في أوقات مختلفة طوال العام، لا سيَّما في المناسبات التالية:

- بشارة رئيس الملائكة غبريال لزكريا الكاهن بميلاد يوحنا المعمدان، يوم ٢٦ من شهر توت.
- عيد ميلاد القدِّيس يوحنا المعمدان، يوم ٣٠ من شهر بؤونة.
- عيد استشهاد القدِّيس يوحنا المعمدان، يوم ٢ من شهر توت.
- وجود رأس القدِّيس يوحنا المعمدان، يوم ٣٠ من شهر أمشير.

---

(١) شيرين صادق الجندي، "دير أبو حنِّس الأثري بملوي"، *مجلة مرقس*، العدد (٦٢٣)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادي النطرون (أبريل ٢٠٢١)، ص ٨-١٣.

▪ ظهور جسدَي القدِّيس يوحنا المعمدان وأليشع النبي، يوم ٢ من شهر بؤونة.

كنائس القدِّيس يوحنا في مصر:

على الرغم من الشهرة الكبيرة التي تمتَّع بها القدِّيس يوحنا المعمدان في مصر والعالم أجمع، إلَّا أنَّ الأديرة والكنائس التي كُرِّست باسمه قليلة جدًّا، مقارنة بتلك التي شُيِّدت لقدِّيسين وشهداء أقباط آخرين، أمثال: مار جرجس، ومار مينا العجايبى، ومرقوريوس أبي السيفين. وفي مصر توجد بعض الكنائس القبطية التي تحمل اسمه، ولكنها حديثة نسبيًّا مُقارنة بالكنائس القبطية الأثرية المُنتشرة في سائر الأقطار المصرية. وترجع غالبية الكنائس المعروفة باسمه إلى القرن التاسع عشر الميلادي، بالإضافة إلى ما بُنِيَ منها في القرن العشرين. ومن هذه الكنائس، نُشير إلى ما يلي:

١- كنيسة القدِّيس يوحنا المعمدان في أبي تيج[٢]: بُنِيَت هذه الكنيسة القبطية في بدوينة الواقعة على بُعْد تسعة كيلومترات في الناحية الشمالية الغربية من أبي تيج، وعلى مقربة من قرية بني سميع. وكتب عنها المؤرِّخ المملوكي تقي الدين المقريزى الذي عاش في العصر المملوكي، وبالأخص في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي. وتتميَّز عمارتها بأسلوب الكنائس التي تُغطِّيها اثنتي عشرة قبة، بينما لم يتبقَّ منها حاليًّا غير تسع فقط.

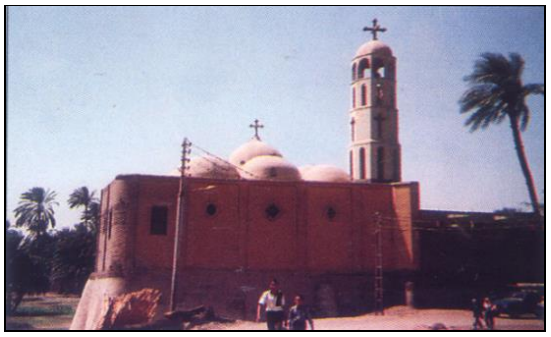

الشكل رقم ١. كنيسة القدِّيس يوحنا المعمدان في أبي تيج. نقلًا من الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٧٧.

وعُثِر في هذه الكنيسة على مجموعة نفيسة من الأيقونات الأثرية والأحجبة الخشبية المُطعَّمة. ويرجع المبنى الحالي لهذه الكنيسة إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي أو إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي (الشكل رقم ١). وتتبع هذه الكنيسة حاليًّا إيبارشية "أبي تيج وصدفا والغنايم وتوابعها".

(٢) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٧٧.

٢- كنيسة القدِّيس يوحنا المعمدان بدير البراموس بوادى النطرون: وترجع هذه الكنيسة إلى القرن التاسع عشر الميلادي[٣]. ويشتمل تخطيطها المعماري البازيليكي والمستطيل الشكل على صالة مُستعرضة تفضي إلى ثلاثة أروقة، أكثرها اتِّساعًا الرواق الأوسط. ويلي هذه الأروقة خورس الكنيسة، ثم الثلاثة هياكل الشرقية. وعلى الرغم من أنَّ دير عذراء البراموس هو دير قبطي، إلَّا أنَّ الأساليب والعناصر الزخرفية داخل هذه الكنيسة، تعكس تأثيرات الفن البيزنطي في أغلب الأيقونات وأجزاء الأثاث الكنائسي الموجود بها حاليًّا. ومؤخَّرًا، تم تجديد هذه الكنيسة الهامة، والتي يُعتَقَد أنها بُنِيَت على أطلال كنيسة أثرية أقدم كانت مُكرَّسة للقدِّيسَيْن أبوللو وأبيب.

ومن الكنائس الحديثة التي تحمل اسم القدِّيس يوحنا المعمدان، تجدر الإشارة إلى الكنائس التالية:

١- **كنيسة الشهيد مار يوحنا المعمدان بأبنوب في محافظة أسيوط:** وتتبع هذه الكنيسة إيبارشية أبنوب، وقد تجدَّدت عمارتها مؤخَّرًا بعد أن تعرَّضت للتخريب في أعقاب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١.

٢- **كنيسة الشهيد مار يوحنا المعمدان بالبربا بجرجا في محافظة سوهاج:** وتتبع هذه الكنيسة إيبارشية جرجا.

٣- **كنيسة الشهيد مار يوحنا المعمدان بالقوصية في محافظة أسيوط:** وتتبع هذه الكنيسة إيبارشية القوصية ومير.

٤- **كنيسة الشهيد يوحنا المعمدان بالزاوية:** وتتبع هذه الكنيسة إيبارشية أسيوط.

٥- **كنيسة الشهيد يوحنا المعمدان بقليوب في محافظة القليوبية:** وتتبع هذه الكنيسة إيبارشية شبرا الخيمة وتوابعها، القليوبية، مصر.

٦- **كنيسة الشهيد مار يوحنا المعمدان بالمعادي في محافظة القاهرة:** وتتبع هذه الكنيسة منطقة طرة والمعادي.

٧- **كنيسة العذراء مريم والقدِّيسَيْن يوحنا المعمدان وبولس الرسول بعين شمس الغربية بالقاهرة:** وتتبع هذه الكنيسة منطقة عين شمس والمطرية وعزبة النخل.

كما نُشير إلى وجود أديرة وكنائس قبطية أخرى في مصر تحمل اسم القدِّيس يوحنا،

---

(3) G. GABRA, *Coptic Monasteries. Egypt's Monastic Art and Architecture*, with a Historical Overview by T. VIVIAN, Cairo-New York, 2002, 42.

ولكن ليس يوحنا المعمدان، مثل:

١- دير الأب يوحنا الدَّرَجي بالبحر الأحمر: ويُعتَبَر القدِّيس يوحنا الدَّرَجى هو المؤسِّس الحقيقى لحركة الرهبنة في شبه جزيرة سيناء. وتوجد له مغارة فيها تتكوَّن من أحجار ضخمة. وبجوارها كنيسة تبعد عن مدينة سانت كاترين بحوالي ساعتين سيرًا على الأقدام[٤]. ويرى البعض أنَّ هذا القدِّيس قد شيَّد له ديرًا على بُعْد ما يقرب من مائة وخمسين مترًا جنوب غرب منطقة أبي الدَّرَج في جنوب مدينة السويس[٥]. وحاليًّا، توجد أطلال هذا الدير القبطي القديم بالقرب من شاطئ البحر الأحمر. وفي الركن الشمالي الغربي من هذه الأطلال، عُثِر على بئر الدير. وعلى بُعْد حوالي ثلاثمائة متر تقريبًا جنوب هذا البئر، وجِدَت المغارات الصخرية التي عاش بها الآباء المتوحِّدون الأوائل. واكتُشِفَت بداخل هذه المغارات حنيات وكتابات قبطية هامة، بالإضافة إلى بعض الرسومات الجدارية الدينية المسيحية. ويُزخرف سقف كنيسة هذا الدير، المنحوتة في الصخور الجبلية، ثلاثة صلبان. كما تزدان جدرانها الداخلية الشرقية والشمالية ببقايا كتابات قبطية هامة.

٢- كنيسة يوحنا الهرقلي: وشُيِّدت هذه الكنيسة في شمال منفلوط في قرية أم القصور على بُعْد عشرة كيلومترات تقريبًا في الناحية الجنوبية من القوصية[٦]. وقد أشار المؤرِّخ المملوكي تقي الدين المقريزي إلى هذه الكنيسة في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي. كما ذَكَرَها الرحَّالة فانسليب الذي زار مصر سنة ١٦٧٢م. وترجع مباني الكنيسة الحالية إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي أو إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. ويعلوها اثنتا عشرة قُبَّة، وبداخلها أحجبة خشبية مُطعَّمة بالعاج. ووُضِعَ جسدَا كلٍّ من "القدِّيس الشهيد يوحنا الهرقلي" وخاله "أبو فام" في هيكل الكنيسة الشمالي (الشكل رقم ٢).

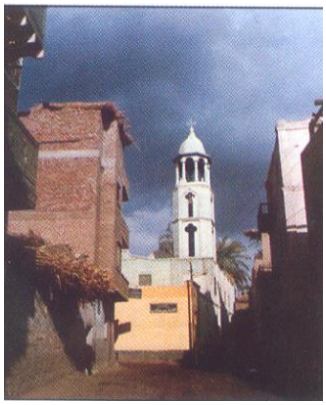

الشكل رقم ٢. كنيسة القدِّيس يوحنا الهرقلى. نقلًا من الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦٢.

(يتبع)

(٤) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٥١.
(٥) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٢٣.
(٦) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦١-١٦٢.

الخطية الجدِّيَّة

حسب تعليم القدِّيس ساويرس الأنطاكي[١]

(٢)

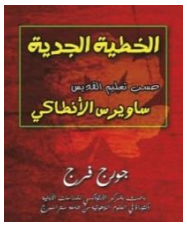

تفسير بعض الآيات الغامضة:

+ (أي ١٤ : ٤، ٥ سبعينية): «مَنْ هو الطَّاهر من الدَّنس؟ لا أحد! ولو كانت حياته يومًا واحدًا على الأرض».

يشرح ق. ساويرس هذه الآية ويقول: إنَّ المقصود هو الدَّنس الناتج مِمَّا يرتكبه الإنسان في هذه الحياة، وليس لمجرد ميلاده بالجسد. فالمولود الذي لم يَعِشْ سوى يومٍ واحد على الأرض، لا يأتي إلى دينونة، فكيف يمكن أن يُدان تلقائيًّا لمجرَّد أنه تنفَّس هواء الأرض؟!

+ (مز ٥١: ٧): «هأَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي».

يقول القدِّيس ساويرس: إنَّ كلام داود النبي يتشابه مع قول القدِّيس بولس الرسول لأهل غلاطيَّة، إنَّ الله قد سُرَّ وأفرزه من بطن أمه (انظر: غل ١: ١٥). ويوضِّح أنَّ كلام داود النبي مثل الرسول بولس لا ينبغي أن يؤخذ بمعناه المُطلَق، كما لو كانت حياة بولس كلها صالحة، حيث لا يذكر هنا بولس خطاياه قبل اهتدائه.

+ (رو ٥: ١٩): «لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً». يورد القدِّيس ساويرس نصًّا ليوحنا ذهبي الفم يرفض فيه فكرة ميلاد الإنسان مُذنبًا. فنحن لم نولَد من آدم في الخطيَّة؛ بل بالحري أمواتًا (أي مُستهدَفين للموت) كما مِن مائت.

خُلاصة تعليم القدِّيس ساويرس
عن السقوط وأَثَر خطية آدم على الإنسان:

١. آدم لم يُخلَق بطبيعة خالدة في حدِّ ذاتها، بل بطبيعة فانية، وتستمدُّ خلودها من النعمة الإلهيَّة.

---

(١) هذا الكتاب إعداد د. جورج فرج، باحث بالمركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. يقع في ١٢٧ صفحة، صَدَرَ سنة ٢٠١٧م.

٢. بالسقوط، فَقَدَ آدم النعمة الإلهيَّة الحافظة، وبالتالي صارت طبيعته فاسدة ومآلها الفناء.

٣. الخطيَّة ليست لها طبيعة ماديَّة، ولا يمكن أن تُورَّث بالتناسُل والإنجاب.

٤. الزواج لم ينشأ نتيجة الخطيَّة، بل كان في عِلْم الله السابق، وأعدَّه كوسيلة ليُقاوِم بها الفناء، فهو هبة إلهيَّة، وليس نتيجة شرِّ الإنسان.

٥. الأطفال لا يولدون أبدًا خطاة، بل أمواتًا (أي قابلين للموت)، بسبب فساد الطبيعة. فذريَّة آدم وُلِدَت بطبيعة مائتة وفاسدة، ولم تولد أبدًا خاطئة.

٦. الخطيَّة لا تورَّث بالإنجاب، وليس لها كينونة، لأن الشرَّ ليس جوهرًا.

٧. نصوص العهد القديم لم تُعلِّم أنَّ الإنسان يولَد مُذنبًا، بل كانت نصوصًا تَقَويَّة للتوبة، أعلن فيها قدِّيسو العهد القديم عن ضعف الجنس البشري، واعترافهم بخطاياهم، وعجزهم أمام صلاح الله، وكماله المُطلق، وطلبهم رحمته.

٨. الله ليس صانع الموت، بل الإنسان هو الذي جَلَبَه على نفسه، بالخطيَّة التي أفقدته النعمة الإلهيَّة.

هل قدَّم القدِّيس ساويرس عقيدة جديدة؟

هل يمكن اعتبار تعليم القدِّيس ساويرس عن عدم وراثة الخطيَّة تعليمًا جديدًا، أو أنَّه تعليمٌ يخصُّ القدِّيس ساويرس وحده، ولا يوجد إجماعٌ عليه بين آباء الكنيسة الشرقيَّة من قبله؟

في الحقيقة، إنَّ القدِّيس ساويرس في كلِّ النصوص التي يستشهد بها كان ذا منهجيَّة واضحة، وهي الاحتكام للآباء.

فالقدِّيس ساويرس، كعادة كلِّ آباء الكنيسة، لم يُقدِّم نفسه كرجل من أهل العِلْم والحَذَق، القادر أنْ يُفسِّر الكُتُب المُقدَّسة، ويُعطي إجاباتٍ من عنده في المسائل المُتنازَع عليها؛ بل إنَّه قدَّم نفسه كمثل غيره من الآباء، كشاهدٍ أمين، يُحافظ على وديعة الإيمان وما قد تسلَّمه من سابقيه من الآباء.

- **بطريرك القدس للَّاتين يوجِّه نداءً لوقف الحرب بالأراضي المقدَّسة.**
- **أيقونة للعذراء تعود إلى القرن التاسع عشر.**

⁂

بطريرك القدس للَّاتين يوجِّه نداءً لوقف الحرب بالأراضي المقدَّسة:

وجَّه الكاردينال بيير باتيستا بيتسابالا، بطريرك القدس للَّاتين، رئيس مجلس رؤساء الكنائس الكاثوليكية في الأرض المقدَّسة، نداءً، جاء فيه: "فليس اللهُ إلهَ البَلْبَلة، بل إلهُ السَّلام":

"جميع رؤساء كنائس الأرض المقدَّسة، أدعو كافة الرعايا والجمعيات الرهبانية إلى يوم صوم وصلاة من أجل السلام والمُصالحة. نطلب أن يكون يوم الثلاثاء الموافق ١٧ تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٢٣ (فقد تمَّ عَقْد الاجتماع بعد نشوب الأحداث الجارية الآن في غزة)، وهو يوم صوم وانقطاع وصلاة.

أرجو أن تُنظَّم أوقات صلاة تتضمَّن السجود للقربان الأقدس وتلاوة المسبحة الوردية. فمن المحتمل أنه، في أجزاء كثيرة من أبرشياتنا، لن تسمح الظروف بتَجمُّعات كبيرة في الرعايا؛ أمَّا الجمعيات الرهبانية والعائلات، فسيظل ممكنًا فيها تنظيم فترة صلاة مشتركة بسيطة وخشوعية. هذه هي الطريقة التي توحِّدنا معًا، رغم كلِّ شيء، فنتلاقَى في صلاةٍ جماعية، نُسلِّم بها إلى الله الآب عطشنا إلى السلام والعدالة والمُصالحة".

وقد أصدر المجمع البيان التالي يوم الثامن من أكتوبر ٢٠٢٣:

بطاركة ورؤساء الكنائس في القدس يتّحدون في نداء
من أجل السلام والعدالة في ظل العنف المستمر

القدس، ٨ تشرين أول ٢٠٢٣،

الأراضي المقدَّسة، مكانٌ مقدَّس لملايين الناس حول العالم، تعيش حاليًّا في ظل عنف ومُعاناة بسبب النزاع السياسي المستمر، وانعدام العدالة واحترام حقوق الإنسان. نحن، بطاركة ورؤساء الكنائس في القدس، قد ناشدنا مرارًا وتكرارًا بأهمية احترام الوضع القانوني والتاريخي القائم "الستاتيكو" للأماكن المقدَّسة. في هذه الأوقات الصعبة نتَّحد اليوم لنرفع أصواتنا مُردِّدين السلام والمحبة الإلهيَّة لجميع البشر.

بصفتنا حُرَّاسًا للإيمان المسيحي، المُتجذِّر بعمق في الأراضي المقدَّسة، نقف مع شعوب المنطقة، الذين يُعانون من عواقب الصراع المستمر. إيماننا، الذي يستند إلى تعاليم السيِّد المسيح، يُجبرنا على المُطالبة بوقف جميع الأنشطة العسكرية والعنيفة التي تجلب الضرر للمدنيين الفلسطينيين والإسرائيليين على حدٍّ سواء.

نُدين بشكلٍ قاطع كلَّ الأعمال التي تستهدف المدنيين، بغَضِّ النظر عن جنسيتهم أو عرقهم أو ديانتهم. مثل هذه الأعمال تتعارض مع المبادئ الأساسية للإنسانية وتعاليم السيِّد المسيح، الذي ناشدنا أن «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ» (مر ١٢: ٣١).

نتمنَّى ونُصلِّي بحرارة لتستجيب جميع الأطراف المعنية لهذا النداء من أجل وقف فوري للعنف. ونُطالب القادة السياسيين والسلطات المعنية، لأن تبدأ في حوارٍ مُشترك صادق يبحث عن حلٍّ دائم، يُعزِّز العدالة والسلام والمُصالحة لشعوب هذه الأرض، الذين عانوا من أعباء الصراع لفترةٍ طويلة جدًّا.

بصفتنا قادة روحيين، نمدُّ يد العون إلى جميع الذين يُعانون، ونُصلِّي أن يمنح الله الراحة للمُعذَّبين، والقوَّة للمُتعَبين، والحكمة لأولئك الذين يشغلون مناصب السلطة. ندعو المجتمع الدولي إلى مُضاعفة جهوده للوساطة في تحقيق سلامٍ عادل ودائم في الأراضي

المقدَّسة، استنادًا إلى حقوقٍ متساوية للجميع وإلى الشرعية الدولية.

دعونا نتذكَّر كلمات الرسول بولس: «لأن الله ليس إله فوضى بل إله سلام» (١كو ١٤: ٣٣). بروح هذه الرسالة الإلهيَّة، ندعو الجميع إلى العمل بلا كلل نحو وقف العُنف وبناء سلامٍ عادل ودائم، يسمح للأرض المقدَّسة بأن تكون مصبًّا للرجاء والإيمان والمحبة للجميع.

نرجو أن تكون نعمة سيِّدنا المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس، معنا جميعًا خلال هذه الأوقات الصعبة.

- والمجلة تتضامن مع كلِّ المأزومين في هذه المأساة.

(عن موقع: الأقباط اليوم)

⁂

أيقونة للعذراء تعود إلى القرن التاسع عشر:

نشر الأنبا نيقولا أنطونيو، مطران طنطا والغربية للروم الأرثوذكس، ومُتحدِّث كنيسة الروم الأرثوذكس في مصر ووكيلها للشؤون العربية، أيقونة تعود إلى القرن التاسع عشر. تظهر فيها العذراء الفائقة القداسة في الوسط، وعلى ذراعها الطفل يسوع المسيح؛ وعن اليمين القدِّيسة أليصابات، وعلى ذراعها ابنها النبي السابق المجيد يوحنا المعمدان؛ وعن اليسار القدِّيسة سالومة، وعلى ذراعها ابنها الرسول يوحنا الحبيب. ويُرى في الأيقونة يوحنا المعمدان ويوحنا التلميذ والرسول، يُشيران إلى المسيح. فيوحنا الحبيب كان (سابقًا) تلميذًا ليوحنا المعمدان، وبعدها أصبح تلميذًا للمسيح.

وعلَّق المطران نيقولا على الصورة قائلًا: بحسب التقليد المسيحي، فإنَّ أليصابات هي نسيبة (ابنة خالة) العذراء (لو ١: ٣٦)، وسالومة أخت يعقوب الصغير ويوسي (مر ١٥: ٤٠) وسمعان ويهوذا (مت ١٣: ٥٥) الذين دُعوا إخوة الرب (مر ٦: ٣) .

(عن موقع: الأقباط اليوم)

ST. MARK

January 2024

Monthly Review

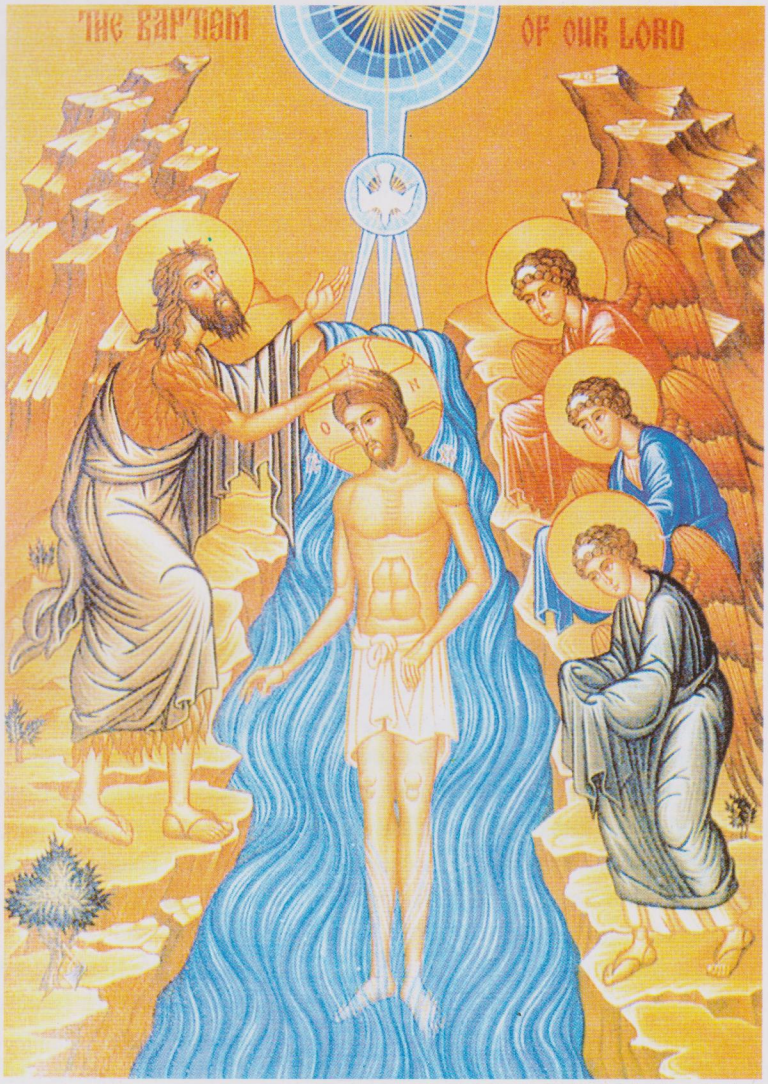

The Baptism of Our Lord by St John the Baptist